جامعة عبد الرحمان ميرة–بجاية
كلية الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

عنوان المذكرة

دور المتغيرات الاجتماعية في التغيّر اللغوي

"دراسة في ضوء النموذج اللساني الاجتماعي التغيري"

مذكرة مقدمة لاستكمال شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي

تخصص: لسانيات عربية

إعداد الطالبين/الطالبتين:
عمروش رشيدة

إشراف الأستاذة:
كايسة عليك

لجنة المناقشة:

الأستاذ(ة) عايدة حوشي، جامعة عبد الرحمان ميرة بجاية ..... رئيسا.

الأستاذ(ة) كايسة عليك جامعة عبد الرحمان ميرة بجاية.... مشرفا ومقررا

الأستاذ(ة) وردية قلاز ، جامعة عبد الرحمان ميرة بجاية..... ممتحنا.

السنة الجامعية : 2024/2023

شكر وعرفان

يقول الله عزّ وجلّ:

{وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ ۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ}

-سورة هود الآية 88-

{بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ}

-سورة الزمر الآية 66-

الحمد لله الذي بنعمته تتّم الصالحات، نحمد الله سبحانه وتعالى وأشكره على توفيقه لي في إتمام هذا البحث. وأتقدم بجزيل الشكر والعرفان إلى الأستاذة الفاضلة ***(كايسة عليك)****، لقبول الإشراف على هذا البحث، وعلى جهودها ونصائحها القيّمة خلال إنجاز هذا البحث.*

أوّجّه شكري وتقديري إلى جميع أساتذة قسم اللغة والأدب العربي جامعة بجاية على مساعداتهم لنا منذ بداية مشوارنا الدّراسي إلى غاية نهايته.

وأتقدّم بشكري الجزيل إلى أعضاء اللجنة الكريمة الذي تحملوا عناء قراءة هذا البحث وتصويبه.

إهداء

أهدي هذا العمل إلى أمّي وأبي حفظهما الله، وإلى إخوتي وأخواتي. وكل من

ساعدني في إنجاز هذا البحث من قريب أو من بعيد،

بالخصوص الأستاذة (كايسة عليك) التي كانت عونا لي في كل وقت

حفظها الله وجزاها الله خيرا. دون أن أنسى زملائي الكرام

وكل أصدقائي

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

تُعدّ اللّغة من أهم وأبرز وسائل التواصل البشري، يعتمدها الإنسان للتعبير عن أفكاره وآرائه ومعتقداته، وترتبط اللغة بالأفراد الناطقين بها، وتنمو وتتطور في أحضان المجتمع، فتعكس ثقافته وعاداته وتقاليده، وتتنوّع بتنوّع فئاته، وتتوزع بحسب السن، الجنس، المهنة، الطبقة الاجتماعية... الخ، وهذا التنوّع والاختلاف في الشرائح الاجتماعية يؤثّر حتما في بنيات اللغة المستعملة من طرف أفراد الجماعة التي تستخدمها، هذا إلى جانب الدور الذي تؤديه الظروف البيئية والإقليمية في التباين والتغيّر والتنوع اللغوي.

يعكس التغيّر اللغوي في لغة من اللغات تنوّعا ثقافيا للجماعة التي تستخدمها، ويعكس أيضا تنوّعا في المكوّن البيئي والاجتماعي لتلك الجماعة، حيث ينجم عن الاختلاف بين الزمر الاجتماعية أو المناطق الجغرافية تنوّعا في لغة الجماعة اللغوية الواحدة، لذلك شكّلت قضية التغيّر اللغوي محور اهتمام اللسانيين الاجتماعيين في الستينيات من القرن العشرين، سعيا لربط التغيّرات التي تطرأ على اللغة (في المستوى الأفقي –السانكروني، وليس العمودي – الدياكروني) بالمجتمع، وربط كلّ متغيّر لغوي بالمتغيّر الاجتماعي الذي يقف وراءه.

ويُعدّ العالم الأمريكي "وليام لابوف" (William Labov) من أبرز اللسانيين الاجتماعيين الذين اعتنوا بظاهرة التنوّع اللغوي، وأجرى عدة تحريات ميدانية ليكشف عن الأسباب التي تقف وراء التباين بين أفراد الجماعة اللغوية الواحدة في استخدامهم للغة. ويقرّ لابوف أنّ الفضل في تأسيسه للفرع الجديد للسانيات الاجتماعية الموسوم "اللسانيات الاجتماعية التغيّرية" (أو المتغيّرة") يعود إلى اللساني البنوي "أنطوان مييه" (Antoine Meillet) الذي كان صديقا مقرّبا ل"فيرديناند دي سوسير" (Ferdinand de Saussure)، لكنه ابتعد عنه من الناحية العلمية وانتقده بشدة بعد صدور محاضراته في اللسانيات العامة، بسبب حصره لدراسة اللغة في الجانب الشكلي واستبعاد الجانب الاجتماعي، وعجز النظرية البنوية عن تفسير التغيّرات اللغوية، لكونها تدرس اللغة معزولة عن المكون الاجتماعي والثقافي والبيئي.

وبناء على ما سبق، جاء اختيارنا لهذا الموضوع الموسوم "**دور المتغيرات الاجتماعية في التغيّر اللغوي، دراسة في ضوء النموذج اللساني الاجتماعي التغيري**"، وممّا دفعنا إلى اختيار هذا الموضوع الميل لمثل هذه البحوث التي تهتم بدراسة لغة المتكلمين الحقيقيين، وتركّز على الممارسات اللغوية اليومية للناطقين، حيث إنّ للمجتمع أثرا واضحا في اللغة التي يستخدمها المتكلمون، وطالما أهملت اللسانيات البنوية ربط اللغة بالعوامل الخارجية التي تؤثّر فيها. ومن أسباب اختيارنا لهذا الموضوع أيضا:

- الرغبة في استيعاب كيف يتمّ الربط بين المتغيرات اللغوية والمتغيرات الاجتماعية.
- الكشف عن الدراسات الميدانية التي أنجزها "لابوف" في المجتمع الأمريكي، ومحاولة الاستفادة منها في دراسة المتغيرات اللغوية في اللهجات المستعملة في الجزائر.

وينطلق البحث من الإشكالية التالية: لقد أثبت اللسانيون المحدثون أنّ اللغة ظاهرة اجتماعية بامتياز، وأثبتت اللسانيات الاجتماعية أنّ هذه الظاهرة تتأثّر كثيرا بالعوامل الاجتماعية والجغرافية، فربطت بين التغيرات اللغوية والمتغيّرات الاجتماعية، وأكّدت دراسات وليام لابوف أنّ اللغة تتنوّع وتختلف بسبب التغيرات التي تحدث في مستوياتها المختلفة، وفقا للشرائح والزمر الاجتماعية والمناطق الجغرافية، وكلّ لغات العالم تسير وفق هذا القانون، وبالتالي، ينبغي على الباحثين والطلبة في التخصّص إدراك التعالقات القائمة بين اللغة والعوامل المحيطة بها، وأن يقدروا على استيعاب الكيفية التي تؤثّر بها العوامل الاجتماعية والجغرافية في بنية اللغة وعلى تفسيرها، والسبيل لتحقيق ذلك هو الاطلاع على التحريات الميدانية التي أجراها لابوف على اللغة الإنجليزية، والتي اعتمد فيها طرائق تحليلية علمية. ويمكن تفريع هذه الإشكالية إلى مجموعة من التساؤلات التي نحاول الإجابة عنها من خلال هذا البحث، وتتمثل هذه التساؤلات فما يلي:

- ما اللسانيات الاجتماعية، وما قضاياها الأساسية؟
- ما التغير اللغوي، وما هي العوامل التي تؤدي إلى تغيّر بنية اللغة؟

- ما المقصود بالمتغيرات الجغرافية والاجتماعية؟ وما علاقتها بالتغيّر اللغوي؟
- ما هي التحريات الميدانية التي أجراها وليام لابوف على اللغة الإنجليزية؟
- ما النتائج التي توصّل إليها وليام لابوف من خلال دراساته؟

وللإجابة عن التساؤلات السابقة، اتبعنا المنهج الوصفي في جميع مراحل البحث، وهو المنهج المناسب لتحديد المفاهيم النظرية التي تناولناها في الجزء النظري والمرتبطة بالتغيّر اللغوي في ضوء اللسانيات الاجتماعية، وكذلك في عرض دراسات لابوف، مع الاستعانة بتقنيات هذا المنهج، خاصة تقنية التحليل التي اعتمدناها أكثر في التحليل والتعليق على النماذج التي تناولناها في الفصل التطبيقي.

- ويتضمّن البحث، مقدمة وفصلين وخاتمة؛

– الفصل الأوّل، عنوانه "**اللسانيات الاجتماعية والتغير اللغوي**"، يتكوّن هذا الفصل من مبحثين، المبحث الأول بعنون "**اللسانيات الاجتماعية وقضاياها الأساسية**"، خُصّص هذا المبحث للتعريف باللسانيات الاجتماعية وعلاقتها باللسانيات البنيوية، وأهم القضايا التي تعالجها اللسانيات التطبيقية، أبرزها قضية التغيّر اللغوي.

والمبحث الثاني، عنوانه "**التغيّر اللغوي مفهومه، وعوامله**"، تطرّقنا فيه لمفهوم التغيّر اللغوي، وأهم المصطلحات المرتبطة به، وأنواع التغير اللغوي (وهي التغير الصوتي، الصرفي، النحوي، الدلالي، والمعجمي)، وختمنا هذا المبحث بتقديم أهم العوامل الجغرافية والاجتماعية التي تؤدي إلى التغيّر والتنوّع اللغوي.

– الفصل الثاني، عنوانه "**علاقة التغير اللغوي بالتغير الاجتماعي في ضوء اللسانيات الاجتماعية المتغيّرة**"، عرضنا فيه أهم النماذج التي قدّمها "لابوف" في دراسته للتغير اللغوي وعلاقته بالتغير الاجتماعي، إذ تناولنا أهم الدراسات الميدانية التي أجراها لابوف ليوضّح العلاقة بين التغيرات اللغوية والمتغيرات الاجتماعية.

الخاتمة: تضمنّت أهم نتائج البحث.

بخصوص الدراسات التي تناولت هذا الموضوع، فإنّنا لم نعثر على أيّ كتاب خُصّص موضوعه لدراسات لابوف، ما عدا بعض المقالات المنشورة في بعض المجلات العلمية، وبعض فصول من الكتب، أهمها:

- كتاب "أعلام الفكر اللغوي في التقليد الغربي في القرن العشرين" لـ"جون إي جوزيف" وآخرين. إذ خُصِّص الفصل العاشر بعنوان "**لابوف والتباين اللغوي**"، لتلخيص فكر لابوف.

- "القاموس الموسوعي الجديد لعلوم اللّسان" لـ"أوزوالد ديكرو" و"جان ماري سشايفر"، ترجمة منذر عياشي، حيث تطرقا في فصل من القاموس، عنوانه "**اللسانيات الاجتماعية**" إلى مفهوم اللسانيات الاجتماعية المتغيّرة التي أسسها "لابوف".

- علم الاجتماع اللغوي "لويس جان كالفي".

- مقال للباحث "محمد زيان" تحت عنوان "إسهامات أنطوان مييه ووليام لابوف في علم الاجتماع اللغوي".

ومن الصعوبات التي صادفتنا خلال إنجاز هذا البحث قلّة المراجع التي تناولت "اللسانيات الاجتماعية المتغيّرة"، ونادرا ما نعثر على عنصر في كتب اللسانيات الاجتماعية تشير إلى جهود العالم وليام لابوف رغم أهميتها العلمية.

أسأل الله التوفيق، وأتوجّه بتشكراتي الخالصة للأستاذة المشرفة على مساعداتها وتوجيهاتها التي كانت سندا لي في إتمام هذا البحث.

الفصل الأول

اللسانيات الاجتماعية والتغيّر اللغوي

المبحث الأول: اللسانيات الاجتماعية وقضاياها الأساسية:

1 – التعريف باللسانيات الاجتماعية.

2 – علاقة اللسانيات الاجتماعية باللسانيات العامة.

3 – أهم قضايا اللسانيات الاجتماعية.

المبحث الثاني: التغيّر اللغوي مفهومه، وعوامله:

1 – مفهوم الجماعة اللغوية.

2 – التغير والتنوع اللغوي.

3 – أنواع التغير اللغوي.

4 – عوامل التغير اللغوي.

المبحث الأول

اللسانيات الاجتماعية وقضاياها الأساسية.

تُعدّ اللغة أهم وسيلة من وسائل التواصل البشري، وهي نشاط إنساني واجتماعي، يعتمد عليها الإنسان للتعبير عن رغباته؛ وأفكاره؛ ومعتقداته، مما جعلها محل اهتمام الباحثين والدارسين، وترتبط اللغة ارتباطا وثيقا بالمجتمع الذي يستخدمها، فتنمو في أحضانه، وتتغيّر وتتطوّر بتغيّره وتطوره.

اهتم العلماء والباحثون، على مرّ العصور، بدراسة اللغة، فدرسوها من زوايا مختلفة، وتعددت المناهج والبحوث والدراسات التي اعتنت بهذه الظاهرة، وقد صنّف الدّارسون هذه الدراسات، حسب المراحل التي مرت بها إلى الدراسات اللغوية التقليدية (المعيارية) التي كانت ترتكز على قضية نشأة اللغة الطبيعية وأصولها وتاريخها والمقارنة بين اللغات التي تنتمي إلى فصيلة واحدة؛ نحو عائلة اللغات السامية، التي تضم اللغة العربية والعبرية والسريانية، واللسانيات البنيوية التي أسّسها العالم اللساني "فيرديناند دي سوسير" من خلال دعوته إلى الابتعاد عن المعيارية، والتركيز على الوصف الآني للغة، ودراستها دراسة علمية موضوعية، ووصف اللغة كما هي وليس كما يجب أن تكون، تليها الحقول اللسانية التي ظهرت لتكمّل نقائص اللسانيات البنيوية، هذه الحقول تدعو إلى دراسة اللغة دون فصلها عن العوامل الخارجية المحيطة بها، والتركيز على اللغة في الاستعمال والتواصل، أهم هذه العلوم: «اللسانيات الاجتماعية» التي تدرس اللغة بربطها بالمجتمع.

1- تعريف اللسانيات الاجتماعية:

مصطلح اللسانيات الاجتماعية أو علم اللغة الاجتماعي يقابله في اللغة الأجنبية مصطلح (sociolinguistique) أو (sociolinguistics)، هو فرع من فروع اللسانيات، وهناك من يعتبره فرعا من "اللسانيات التطبيقية"، ويُقصد بهذا العلم «المجال الذي يدرس العلاقة بين المجتمع واللغة، وبين الاستعمالات

المتنوعة للغة والبنى الاجتماعية التي يعيش فيها مستعملو هذه اللغة»[1]؛ أ يركز على اللغة واستعمالاتها المختلفة باختلاف البنى والطبقات الاجتماعية التي يعيش فيها مستعملوها، باعتبار أنّ اللغة تختلف وتتنوّع بتنوّع الأوضاع الاجتماعية واختلاف فئات المجتمع، فلا يكون شكلها ثابتا وإنما نجدها «مليئة وحافلة بالاختلاف المتناسق، هذا الأخير الذي لا يمكن تعليله إلا من خلال اللجوء إلى دراسة القوى والوقائع الاجتماعية بعيدا عن دراسة اللغة في ذاتها»[2]، فيمكن تعليل التغير الذي يحدث للغة باللجوء إلى الواقع والبيئة الاجتماعية، وعدم الاكتفاء بالدراسة الذاتية للغة، حيث إن «التركيب الاجتماعي يؤثر في شكل التركيب اللغوي والسلوك»[3]، وبالتالي، يجب على الباحثين في مجال اللسانيات الاجتماعية الاهتمام بالتأثير والتأثّر المستمرّ بين البناء الاجتماعي والبناء اللغوي.

ويعرف " جوشوا فيشمان" (Joshua Fishman) اللسانيات الاجتماعية بأنها علم «يبحث التفاعل بين جانبي السلوك الإنساني: استعمال اللغة والتنظيم الاجتماعي للسلوك. ويركز على الموضوعات التي ترتبط بالتنظيم الاجتماعي لسلوك اللغة، وهذا لا يشمل استعمال اللغة فحسب، وإنما يشمل أيضا اتجاهات اللغة والسلوكيات الصريحة تجاه اللغة وتجاه مستعملي اللغة»[4]، فيشير هذا التعريف إلى وجود تفاعل حاصل بين اللغة ومستعمليها والمجتمع، ويقوم المجتمع بتنظيم السلوك اللغوي لدى الأفراد، ويعمل الدارسون على الكشف عن هذا التفاعل ودور المجتمع في تنظيم السلوك اللغوي للأفراد.

---

[1]- برنار صبولسكي، علم الاجتماع اللغوي، تر: سنقادي عبد القادر، ديوان المطبوعات الجامعية، دط، الجزائر، 2010، ص21.

[2]- المرجع نفسه، ص23.

[3]_ صبري إبراهيم السيد، علم اللغة الاجتماعي مفهومه وقضاياه، دار المعرفة الجامعية، دط، جامعة عين الشمس، الإسكندرية، 1995، ص7.

[4]_ المرجع نفسه، ص15، نقله عن: Fichman, J.A.: The sociology of language, An interdisciplinary social science approach to language in Rowley: NewBury housse, 1972, p1.

ويحدّد "هدسون" مهمة اللسانيات الاجتماعية في «دراسة اللغة في علاقتها بالمجتمع»[1]، يعني ذلك الاهتمام باللغة في الدرجة الأولى مع التركيز على العلاقات القائمة بينها وبين المجتمع الذي يستعملها، ويصف هذا العلم بكونه «واحدا من أهم مجالات النمو والتطور في الدراسات اللغوية من منظوري المناهج الدراسية ومجالات البحث»[2]، فلا تقتصر مهمة هذا العلم على اهتمامه البالغ باللغة في إطارها الاجتماعي، بل يتميّز بكونه من أهم مجالات النمو والتطوّر في الدراسات اللغوية.

ويدعو اللسانيون الاجتماعيون إلى عدم الفصل بين اللغة والمجتمع المستعمل لها بهدف الوقوف على جل التغيرات التي تتعرض لها هذه الأخيرة بسبب الواقع الاجتماعي الذي يتغيّر باستمرار، وكلّما تغيّر هذا الأخير انعكس ذلك في اللغة التي يستعملها أفراد ذلك المجتمع

2- علاقة اللسانيات الاجتماعية باللسانيات العامة:

اللسانيات هي العلم الذي يدرس اللغة دراسة شكلية، فيركّز على وصف مستوياتها (الصوتية، الصرفية، النحوية، والدلالية)، دون الاهتمام بجانبها الاجتماعي، لذلك ظهرت اللسانيات الاجتماعية التي تقرّ بالطابع الاجتماعي للغة، يرمي اللسانيون الاجتماعيون إلى دراسة هذه الظاهرة في إطارها الاجتماعي، باعتبارها وعاء يحمل معتقدات الإنسان وأفكاره ومواقفه وأسلوب عيشه.

يتّضح ممّا سبق الفرق بين اللسانيات العامة واللسانيات الاجتماعية، لكن بعض الدارسين يعتبرون اللسانيات الاجتماعية فرعا من فروع اللسانيات العامة، والبعض الآخر يعتبره فرعا من اللسانيات التطبيقية، يقول أحد الباحثين «علم اللغة الاجتماعي فرع من فروع علم اللغة، ... يقع في مجال علم اللغة التطبيقي واللغويات التطبيقية

[1]_ هدسون، علم اللغة الاجتماعي، تر: محمود عياد، مر: نصر حامد أبو زيد، محمد أكرم سعد الدين، عالم الكتب، ط2، القاهرة، 1990، ص12.

[2]_ المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

Applied Linguistics»[1]، ويعتبرونه كذلك لأنّه يهتم بالوضع اللغوي في الواقع، ويستعين بالنظريات اللغوية العامة ليبحث عن حلول لبعض المشاكل التي يطرحها التعدّد والتنوّع اللغوي في المجتمع، فاللسانيات الاجتماعية مرتبطة باللسانيات العامة والتطبيقية، رغم أن العلم الأول له هدف مختلف عن الثاني والثالث.

2_1_ التعريف باللسانيات البنوية:

نشأت اللسانيات البنيوية على يد العالم اللغوي السويسري "دي سوسير"، الذي يهدف من خلال علمه هذا دراسة اللغة البشرية دراسة علمية وصفية، وتُعرف اللسانيات بكونها العلم الذي يأخذ من اللغة موضوعا له[2].

ويحدّد دي سوسير موضوع اللسانيات بقوله إنّ «موضوع علم اللسان الحق والوحيد إنما هو اللسان (اللغة) معتبرا في ذاته ولذاته»[3]، أي دراسة اللغة البشرية في ذاتها باعتبارها بنية وكيانا قائما بذاته دون الإحاطة بالجوانب المتعلقة بها، ومن جهة أخرى من أجل ذاتها؛ أي أن هدف اللساني الأساس ليس المقارنة بين اللغات أو البحث في نشأتها وتاريخها وما إلى ذلك، إنما ينطلق أساسا من اللغة ليصل إلى اللغة، ويضيف سوسير إلى ما سبق قائلا: «يتكون موضوع علم اللسان ... من مظاهر اللغة الانسانية وتعبيراتها»[4]، فهو لا يهتم بلغة معينة؛ كالإنجليزية أو الفرنسية...، بل اللغة الطبيعية برمتها وكل ما يعتريها من مظاهر لغوية متعددة.

وتظهر اهتمامات اللسانيات البنيوية بوضوح في ثنائية اللغة/الكلام، التي تطرق إليها "دي سوسير"، حيث وضح الفرق بينهما في مجموعة من النقاط منها:

---

[1]_ محمد عفيف الدين دمياطي، مدخل إلى علم اللغة الاجتماعي، مكتبة لسان عربي للنشر والتوزيع، ط2، إندونيسيا، 2017، ص7.

[2]_ ينظر: محمود السعران، علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، ط1 بيروت، لبنان، 1980، ص49.

[3]_ فيرديناند دي سوسير، محاضرات في علم اللسان العام، تر: عبد القادر قنيني، مر: أحمد حبيبي، إفريقيا الشرق، ط1، الدار البيضاء، المغرب، 1987، ص295.

[4]- المرجع نفسه، ص14.

- يرى أن اللغة تمثل نظاما من الرموز[1].

- اعتبر الكلام استعمالا أو تأدية فعلية للغة، بحيث يتم من خلاله إخراج اللغة من بنيتها المغلقة إلى الواقع الخارجي والاستعمال الفعلي، فهو يستلزم نشاطا عقليا وذهنيا، كون الإنسان يختار الكلمات والصيغ التي يستعملها من الرصيد اللغوي الذي اكتسبه من بيئته.

- اللغة ظاهرة اجتماعية، بينما الكلام ظاهرة فردية[2].

- «الكلام متعدد الأشكال، متنافر المسالك، ومختلف الصيغ، تتنازع دراسته مجالات متعددة وطبيعية وعضوية ونفسية»[3]، فالكلام غير ثابت، يتغيّر بفعل العوامل الخارجية، لذلك يتدخّل في دراسته فروع ومجالات علمية متعدّدة (كعلم النفس اللغوي، وعلم اللغة الاجتماعي، وعلم اللهجات...) ولا يمكن الإحاطة بكل جوانبه المتغيرة، عكس اللغة التي تتميز بالثبات.

- تختلف اللغة عن الكلام، كونها قابلة للدراسة منفصلة عنه، هذا الذي لا يمكن حصره لتنافر أجزائه.

- كما تتميز اللغة في طبيعتها بالتناسق والتوافق فهي نظام من الرموز، التي تمثل شيئا ملموسا يمكن للكتابة تثبيته في صورة واضحة.

ولكن رغم الاختلاف الموجود بين اللغة والكلام، لا يمكن إهمال فكرة أن كل منهما ضروري للآخر، فاللغة ضرورية ليكون الكلام ملموسا، والكلام هو الذي يجسد اللغة[4].

كما يروم علم اللغة من خلال دراسته لبنية اللغة وظواهرها إلى:

---

[1]- ينظر: صلاح فضل، نظرية البنائية في النقد الأدبي، دار الشروق، ط1، القاهرة، 1998، ص20.

[2]- ينظر: أوزوالد ديكرو ، جان ماري سشايفر، القاموس الموسوعي الجديد لعلوم اللسان، تر: منذر عياشي، المركز الثقافي العربي، طبعة منقحة، بيروت، لبنان، 2007، ص264-265.

[3]- صلاح فضل، نظرية البنائية في النقد الأدبي، ص20.

[4]- ينظر: المرجع نفسه، ص21.

- بحث الظواهر اللغوية وحقيقتها وعناصرها، بالإضافة إلى الأسس التي تقوم عليها.
- الاهتمام بالوظائف التي تؤديها اللغة ومظاهرها في مختلف المجتمعات الإنسانية.
- الوقوف على العلاقات التي تربط الظواهر اللغوية فيما بينها.
- كشف القوانين التي تخضع لها وتسير عليها الظواهر اللغوية في تكونها وأدائها لوظائفها وتطورها...وهلم جرا.
- اكتشاف جملة القوانين التي تحكم الظواهر اللغوية (تكونها، نشأتها، أدائها...الخ)[1].

2_2_ علاقة اللسانيات الاجتماعية باللسانيات البنوية:

إن العلاقة الموجودة بين اللسانيات البنوية واللسانيات الاجتماعية نابعة في الأساس من اهتماماتهما المشتركة، فعلى غرار الأولى التي تهتم باللغة بالدرجة الأولى، فإن الثانية كذلك يتمثل موضوعها الأساس في اللغة ومظاهرها.

وبرغم من أن كل من اللسانيات واللسانيات الاجتماعية تنطلقان من الموضوع نفسه، إلا أنهما تختلفان في جملة من النقاط مثل (المفهوم، الهدف، القضايا، المنهج...الخ).

اللسانيات العامة أو البنيوية لا تهتم إلّا «ببنية اللغة Structure Language، دون الاهتمام بالسياقات الاجتماعية Social context التي تكتسب فيها اللغة وتستخدم»[2]، إذ يتمحور عمل علماء اللغة حول البنية اللغوية، والوقوف عند مستوياتها (الصوتية، الصرفية، النحوية، والدلالية)، دون الاهتمام بالظروف الاجتماعية التي أنجزت فيها هذه اللغة، تأتي اللسانيات الاجتماعية لتولي اهتماما كبيرا للطابع الاجتماعي للغة، وتنطلق من فكرة أن اللغة لا يمكن أن تنفصل عن البيئة والمجتمع الذي يستخدمها.

[1]_ ينظر: علي عبد الواحد وافي، علم اللغة، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، ط9، مصر، 2004، ص16.
[2]_ هدسون، علم اللغة الاجتماعي، ص15.

تنتج اللغة إثر علاقة اجتماعية، لأنّها وسيلة يستخدمها المجتمع في نقل ثقافته من فرد لفرد، ومن جيل لجيل، وتعد من أوضح سمات الانتماء الاجتماعي للفرد، ينبغي إذن العودة إلى السياق الاجتماعي لاستخراج جل التغيرات والاختلافات التي تعتري اللغة داخل بيئة اجتماعية حافلة بالسلوكيات المختلفة وممارسات متنوّعة يقوم بها أفرادها.

لا تقتصر مهمة اللسانيات السوسيرية على وصف وتفسير اللغات الطبيعية، ف«علم اللغة لا يعرض لحقيقة الظواهر اللغوية والوظائف التي تؤديها والعلاقات التي تربطها...لمجرد الوصف...، ولكن ليصل في ضوئه إلى كشف قوانين ...هذه الظواهر»[1]، أي اكتشاف قانون عام، ووضع نظرية شاملة يصلح تعميمها على اللغة البشرية.

إن الهدف الأساس من اللسانيات البنوية هو الوصول إلى صياغة قواعد شاملة يتمّ تعميمها على جميع اللغات، و«يستطيع علماء علم اللغة الاجتماعي بعد ذلك أن يدرسوا نقاط هذه القواعد بالمجتمع كما يحدث مثلا عندما يكون هناك عدد من بدائل التعبير اللغوي التي تستخدمها المجموعات الاجتماعية المختلفة للتعبير عن شيء واحد»[2]، حيث يتمّ البحث في القواعد اللغوية بشكل منفصل من طرف اللسانيين البنويين، ثمّ يقوم اللسانيون الاجتماعيون بربط تلك القواعد بالمجتمع الذي يستعملها، فيربطون طريقة صياغة تلك القواعد وكيفية استعمالاها بطبيعة المتعلمين والمعايير الاجتماعية التي تضبط ذلك الاستعمال، مع إبراز مختلف التنوعات اللغوية الناتجة عن الوقائع الاجتماعية المختلفة، فكان «الدافع وراء تطوير اللسانيات الاجتماعية يكمن في أهمية هذه العلاقة بين اللغة والمجتمع، حيث يهتم الباحث في اللسانيات بما يوافق اللسانيات الاجتماعية من معرفة حول المستويات اللغوية المستعملة في المواقف التواصلية في إطار الروابط الاجتماعية»[3]، فاللساني الاجتماعي لا يخالف اللساني البنيوي، بل

[1]_ علي عبد الواحد وافي، علم اللغة، ص16.

[2]_ هدسون، علم اللغة الاجتماعي، ص15.

[3]_ عز الدين صحراوي، اللغة بين اللسانيات واللسانيات الاجتماعية، مجلة العلوم الانسانية، قسم اللغة وآدابها، كلية الآداب والعلوم الاجتماعية، جامعة محمد خيضر، بسكرة، الجزائر، المجلّد3، العدد 5، فيفري 2004، ص149.

يواصل المشوار الذي سلكه، لكن يكمّل الجوانب التي أغفل عنها، ويعتني بالجوانب التي لم تخض فيها اللسانيات البنوية، حيث يقف على مستويات اللغة بالنظر إلى وظائفها الاجتماعية.

وعلى الرغم من أن "سوسير" أقر باجتماعية اللغة، فللغة «جانب فردي وجانب مجتمعي ولا يمكن أن ندرك أحد الجانبين في استقلال عن الآخر»[1]، حيث اعترف بأهمية الجانب الاجتماعي للغة، إلّا أنه اكتفى بالبنية اللغوية في محاضراته. ففي الواقع، لا يمكن فصل اللسانيات الاجتماعية عن اللسانيات البنوية، لأنّهما يبحثان في جانبين أساسيين كلّ جانب يكمّل الآخر؛ فالبنية اللغوية هي جوهر اللغة، لكن تجاهل المجتمع الذي يستخدم تلك البنية يقلّل من شأن اللغة، كما يقلّل من شأن دراسة تلك اللغة.

لقد انتقد بعض اللسانيين الاجتماعيين اللسانيين البنويين لتقصيرهم في إبراز العلاقة بين الظواهر اللغوية والاجتماعية، عكس علماء اللغة الاجتماعيين الذين عالجوا هذه الأخيرة وبحثوا في الروابط الاجتماعية التي تتصل بها، وحاولوا سدّ ثغرات ونقائص اللسانيات البنوية، حيث إنّ علم اللغة الاجتماعي «في مقدوره أن يعالج هذه العيوب ويسد هذه النواقص التي عانى منها علم اللغة على فترات مختلفة من الزمن»[2]، واهتم هذا العلم بمعالجة كثير من القضايا اللغوية المرتبطة باستعمال المجتمع لها، وسيتمّ ذكر أهم هذه القضايا في العنصر الذي يلي.

3- أهم قضايا اللسانيات الاجتماعية:

تهتم اللسانيات الاجتماعية بالعديد من القضايا والمشكلات اللغوية المتعلقة بالمجتمع، من أبرز هذه القضايا والمشكلات، ما يلي:

*تقوم اللسانيات الاجتماعية برصد أبعاد اللغة داخل السياق الاجتماعي وتعدد مستوياتها في مجتمع واحد؛ وتبحث في قضية السياسة اللغوية والتخطيط اللغوي باعتبار «الدور الذي تلعبه اللغة في الحياة الاجتماعية وإن قيمة اللغة

[1]_ فيرديناند دي سوسير، محاضرات في علم اللسان العام، ص17.

[2]_ كمال بشر، علم اللغة الاجتماعي، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، ط3، القاهرة، مصر، 1997، ص66.

باعتبارها وسيلة من الوسائل الموصلة إلى مراكز السلطة والتأثير»[1]، بحيث إنّ الدولة والسلطة تتدخل في مسألة اللغة لارتباطها بالحياة الاجتماعية المستعملة فيه.

وتتناول اللسانيات الاجتماعية أيضا قضية الازدواجية اللغوية، والثنائية اللغوية، بالإضافة التعددية اللغوية، فكل مجتمع يوجد فيه «نوعيتان منفصلتان متميزتان ...تستخدم إحداهما في المواقف الرسمية والعامة، بينما تستخدم الأخرى في الظروف العادية واليومية»[2]، وهذا ما يسمى بالازدواجية اللغوية، ويهتمّ بظاهرة أخرى موجودة في عدة مجتمعات، وهي ظاهرة الثنائية اللغوية، التي تسود بعض المجتمعات التي تستعمل لغتين مختلفتين مثل اللغة (العربية والفرنسية)، أو (العربية والأمازيغية)، وغيرها من الثنائيات، وقضية التعددية اللغوية تشير إلى وجود أكثر من ثنائية في مجتمع واحد مثل استعمال اللغة العربية والفرنسية والإنجليزية في نفس المجتمع وهو ما نجده في المجتمع الجزائري، مما لقت محل اهتمام لدى الدارسين في اللسانيات الاجتماعية.

ومن أهم القضايا التي يركز عليها علم اللغة الاجتماعي؛ قضية التغير أو التنوع اللغوي، وعلاقته بالتغير الاجتماعي، باعتبار أن اللغة تتغير وتتطور في أحضان المجتمع، وأن «التنوع في اللغة موجود في تجربة كل منّا في استعماله لها أو إنصاته إليها»[3]، إذ يتجلى مفهوم التنوع اللغوي في ضروب استعمال اللغة من طرف المتكلمين بها.

تتطرق اللسانيات الاجتماعية إلى ظاهرة التحول اللغوي الذي يكون سببه تحولات وتغيّرات تطرأ في المجتمع، ويهتمّ كذلك بالاقتراض، والاحتكاك، والصراع اللغوي... إلى غير ذلك من المسائل والمشكلات اللغوية التي تنجم عن مشكلات أو تغيّرات أو تطوّرات تطرأ على المجتمع.

---

[1]_ صبولسكي، علم الاجتماع اللغوي، ص162.

[2]_ هدسون، علم اللغة الاجتماعي، ص89.

[3]_ فلوريان كولماس، دليل السوسيولسانيات، تر: خالد الأشهب، ماجدولين النهيبي، مر: ميشال زكريا، المنظمة العربية للترجمة، ط1، بيروت، لبنان، 2009، ص105.

سنحاول توضيح بعض هذه القضايا وأهمها، ونركّز أكثر على القضايا المرتبطة بموضوع هذا البحث، أي القضايا التي لها أثر في التنوّع والتعدّد اللغوي الذي وجه له اللساني الاجتماعي وليام لابوف كلّ اهتماماته، خاصة ما يرتبط بالظواهر اللسانية الاجتماعية كالازدواجية والثنائية والتعدّدية اللغوية، ومسألة السياسة اللغوية والتخطيط اللغوي التي ترتبط بتلك الظواهر، فتوضع السياسة اللغوية والتخطيط اللغوي للتغلّب على المشاكل التي قد تسببها تلك الظواهر في المجتمع.

***الازدواجية اللغوية:**

"الازدواجية اللغوية" (Diglossie) أو (Diglossia) أو الديجلوسيا، تم استخدامه لأوّل مرة على يد اللساني الاجتماعي "شارل فيرغسون" في دراسة لسانية اجتماعية سنة 1959[1] – رغم أنّ المصطلح ظهر قبل هذه الدراسة– والازدواج اللغوي، حسب "شارل فرجسون" (Charles Ferguson): «موقف لغوي ثابت نسبيا توجد فيه بالإضافة إلى اللهجات الأساسية للغة بعينها...نوعية أخرى مختلفة صارمة من ناحية التقنين...غالبا ما تكون مفروضة من جهة عليا»[2]، أي الازدواجية اللغوية تعني وجود مستويين من اللغة في المجتمع الواحد، يكون أحدهما أعلى من الآخر، بحيث يستعمل الأول في المواقف الرسمية، ويقصد به المستوى الفصيح من اللغة، أما الثاني فنجده في المحادثات اليومية وهو الجانب العامي من اللغة.

ويضيف "فرجسون" أنّه لابد من «أن تكون النوعيتان الدارجة و العالية منتميتين إلى نفس اللغة»[3]، ومثال ذلك اللغة العربية الفصحى التي نستخدمها في المدارس والمناسبات الرسمية، والكتابة، وغيرها، واللغة العربية الدارجة، التي تستعمل في الحياة اليومية. فلا نتصور أن هناك من يستخدم الفصحى مع أسرته أو أصدقائه، أو استخدام الدارجة مع المعلم أو شخص له مكانة الرسمية.

---

[1]_ صبري إبراهيم السيد، علم اللغة الاجتماعي مفهومه وقضاياه، ص149.

[2]_ هدسون، علم اللغة الاجتماعي، ص89.

[3]_ المرجع نفسه، ص91.

إذن ليس هناك مجتمع يخلو من الازدواج اللغوي، أو يستخدم لغة عالية فقط، وإنما كل لغة تشمل على لهجة أو عدة لهجات بحسب الأفراد الناطقين، فيرتبط مفهوم الازدواج اللغوي بالتنوع اللغوي الذي يعتري اللغة من خلال الاستعمالات العديدة للغة. وهو الأمر بالنسبة للغة العربية التي نجدها تتفرع إلى عدة لهجات (الجزائرية، المغربية، التونسية...الخ)، هذه الأخيرة التي تتفرع بدورها إلى لهجات أخرى مثل: (اللهجة العنابية، البجاوية، التلمسانية ...الخ) التي تنتمي إلى اللهجة الجزائرية، وهذه المسألة هي التي جذبت انتباه لابوف ودرسها دراسة علمية وكرس لها كلّ جهوده.

***الثنائية والتعددية اللغوية:**

تعد الثنائية اللغوية (Bilingualism) والتعددية اللغوية (Multilingualism) من القضايا التي تهتم بها اللسانيات الاجتماعية، حيث إن في «بعض المجتمعات، يعرف معظم الأفراد لغتين ويستخدمونها في حياتهم اليومية، فيقال إن هذا المجتمع ذو ثنائية اللغوية»[1]، بحيث يتجلى مفهوم الثنائية اللغوية في المجتمع الذي يتكلم أفراده لغتين، تكون متساوية في التوزيع أو يكون هناك إطغاء لغة على أخرى. ويمكن التمثيل عن الثنائية اللغوية بالمجتمع الجزائري الذي يوجد فيه فئة كبيرة من الناس تتكلّم اللغة العربية واللغة الفرنسية، وفئة أخرى كبيرة تتكلم الأمازيغية والفرنسية، وفئة تتكلم العربية والأمازيغية، ...الخ، لذلك وصف الباحثون المجتمع الجزائري بأنّه مجتمع ليس فقط مزدوج اللغة أو ثنائي اللغة بل هو متعدّد اللغات.

وانطلاقا من الفكرة السابقة، فإنّه «إذا استخدم المجتمع أكثر من لغتين، يقال إنه ذو تعددية لغوية»[2]، فتختلف التعددية عن الثنائية، لأنّ التعددية تعني استعمال أكثر من لغتين، كالمجتمع الجزائري الذي نجد نسبة عالية من

[1]_ محمد علي الخولي، مدخل إلى علم اللغة، دار الفلاح للنشر والتوزيع، الأردن، 2000، ص174.

[2]_ المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

الأشخاص الذي يتقنون اللغة العربية، باعتبارها لغة رسمية ولغة المدرسة، واللغة الأمازيغية كونها تمثل الأصلية، بالإضافة إلى اللغة الفرنسية التي ارتبط بها الجزائريون لأسباب تاريخية، إلى جانب وجود لغات أخرى أجنبية كاللغة الإنجليزية.

وتعرّف "جولييت غرمادي" التعددية اللغوي بأنّها «استعمال منظومتين أو أكثر من جانب المتكلمين في متحد واحد»[1]، حيث أشارت هذه الأخيرة إلى اللغة بمصطلح المنظومة، وإلى المجتمع بالمتحد، وأضافت قائلة: «يقال أن لغتين أو أكثر هما على اتصال واحتكاك إذا كانتا مستعملتين استعمالا تعاقبيا من قبل الأشخاص نفسهم»[2]. فلابد لهذه اللغات أن تكون متداولة بين أفراد المجتمع الواحد في الوقت نفسه وبالكيفية نفسها.

تظهر التعددية اللغوية إثر عوامل عديدة منها[3]:

- الهجرة: حيث تساهم في اكتساب لغة جديدة بالإضافة إلى اللغة الأم.
- التجارة: تؤدي هذه الأخيرة دورا مهما في تعدد استعمال اللغات مما تلزم الانتقال من منطقة إلى أخرى.
- النزوح الريفي: أي انتقال السكان من القرى للاستقرار في المدن الكبرى.
- الجانب التاريخي: له أثر في بروز التعدد اللغوي، لاسيما ما تخلفه عمليات الاستيلاء والسلطة وغيرها.

وهذا الوضع اللغوي المتعدّد له إيجابيات كثيرة حين يُستخدم بانتظام، وله كذلك سلبيات على المجتمع وعلى اللغات الأصلية حين تُستخدم هذه اللغات بشكل فوضوي، دون مراعاة وظيفة كلّ لغة.

---

[1]_ جولييت غرمادي، اللسانة الاجتماعية، تعريب: خليل أحمد خليل، دار الطبعة للطباعة والمشر، ط1، بيروت، لبنان، 1990، ص115.

[2]_ المرجع نفسه، ص116.

[3]_ ينظر: خلاف فطيمة، اللسانيات الاجتماعية دراسة في المفهوم والقضايا، مجلة نوميروس الأكاديمية، المركز الجامعي مغنية، الجزائر، المجلد2، العدد1، 2021/01/01، ص63.

***السياسة اللغوية والتخطيط اللغوي:**

ينطلق مفهوم السياسة اللغوية (politique linguistique) من مجموعة من «الاختيارات الواعية المتعلقة بالعلاقات بين اللغة/اللغات والحياة الاجتماعية»[1]،فالسياسة اللغوية هي قرارات يتم اتخاذها بوعي تتعلق باللغة والمجتمع الذي يستعملها، حيث يتمّ اعتماد اختيار معين من بين الاختيارات المطروحة، أي اختيار لغة من اللغات المستعملة، لتكون لغة الدولة والمناسبات الرسمية، وهي قرارات تتّخذها السلطات الحاكمة.

أما التخطيط اللغوي (planification linguistique) فيقصد به تطبيق السياسة اللغوية، بحيث يعتبر هذا الأخير «التطبيق الفعلي لسياسة لغوية بعينها، أي الانتقال إلى العمل/التطبيق»[2]، فهو الذي يضع السياسة اللغوية موضع التنفيذ و التطبيق.

ينطلق التخطيط اللغوي من مجموعة من المشكلات منها[3]:

- وضع المقاييس الصحيحة والكلام الجيد، واختيار لغة ملائمة قادرة على أداء الإبداع العلمي والفكري.
- عدم القدرة على التفاهم من طرف المجتمعات التي تنتمي إلى دولة واحدة.
- وجود تنافس بين اللهجات المستخدمة بين الأفراد.
- الهدف إلى خلق توازن بين الدولة والشعب من ناحية اللغة المستخدمة.

يتضح أن عملية التخطيط اللغوي لا تكون إلا بوجود سياسة لغوية، إذ ينطلق من وضع القرارات والاختيارات، ثم الانتقال إلى تطبيقها فعليا. ومن أمثلة السياسة اللغوية: وضع القرارات في ترسيم لغة معينة وذلك ما حدث في

[1]_ لويس جان كالفي، علم الاجتماع اللغوي، تر: محمد يحياتن، دار القصبة للنشر، دط، الجزائر، 2006، ص111.

[2]_ المرجع نفسه، ص111.

[3]– ميشال زكريا، قضايا ألسنية تطبيقية دراسات لغوية اجتماعية نفسية مع مقارنة تاريخية، دار العلم للملايين، ط1، بيروت، لبنان، 1993، ص11.

الجزائر، مثلا في 2016 عند ترسيم اللغة الأمازيغية من أجل تحقيق الاستقرار السياسي، وكذلك تحديد اللغة المناسبة للاستخدام في محددة كالتعليم والكتابة...الخ، مثل: اختيار

اللغة العربية كلغة أولى في التعليم في الجزائر، ولغة الخطابات السياسية والمناسبات الرسمية.

***التنوع اللغوي:**

هناك من يطلق على التنوع اللغوي مصطلح التغيّر اللغوي رغم الاختلاف الموجود بين المصطلحين، لكنهما مترابطان، حيث ينتج التنوّع عن التغيّر الذي يطرأ على اللغة نفسها، ويُقصد بالتنوّع ضروب استعمال اللغة، وهو الاستعمال المختلف للغة من طرف المتكلمين في المجتمع الواحد، حيث تتغيّر اللغة وتتنوّع نتيجة عوامل مختلفة، كالعوامل الاجتماعية والثقافية والسياسية وجغرافية... الخ.

اللغة بطبيعتها تتغير وتتطوّر في المجتمع الذي يستخدمها، لأنّها تتأثر بالبيئة الاجتماعية المحيطة بها والطبقات المتفاوتة التي تستعملها، فيظهر هذا التغير في بنيتها اللغوية (الصرفية، الصوتية، النحوية والدلالية)، وقد بذل بعض اللسانيين كلّ جهودهم لتوضيح هذا التأثير الذي يحصل بين البنية الاجتماعية والبنية اللغوية، ويفسّرون التنوّعات اللغوية بربطها بالتغيّرات الاجتماعية والعوامل الاجتماعية المختلفة، وسيتمّ تناول قضية التنوّع اللغوي بالتفصيل في المبحث الثاني، لأنّ هذه القضية تشكل موضوع هذا البحث.

المبحث الثاني

التغيّر اللغوي مفهومه، وعوامله.

تهتم اللسانيات الاجتماعية بالعديد من القضايا والمهام، وقد تمّ ذكر أهمها في المبحث الأول، وسيتمّ التركيز في المبحث الثاني على قضية التغير والتنوّع اللغوي، باعتباره ظاهرة لا تخلو منه أيّ لغة من اللغات التي يستخدمها أيّ مجتمع من المجتمعات. وقبل التطرّق إلى تعريف التغير اللغوي، لابد من الإشارة إلى مفهوم الجماعة اللغوية أو المجموعة اللسانية، باعتبار أن الجماعة اللغوية ترتبط ارتباطا وثيقا بالتغير اللغوي، فالجماعة اللغوية تستخدم اللغة التي تتنوّع وتتغيّر بتغيّر ظروف هذه الجماعة وأحوالها وسلوكيات أفرادها وتصرفاتهم ونمط عيشهم.

1_ مفهوم الجماعة اللغوية:

من المصطلحات الشائعة في علم اللغة الاجتماعي مصطلح الجماعة اللغوية (Communauté linguistique)،حيث إنّ مفهومها يكاد يكون «قديما قدم اللسانيات نفسها، غير أن مختلف اللسانيين قد أعطوها تحديدات وتعاريف متنوعة»[1]، ويختلف تحديد مفهوم المجموعة اللغوية بين اللسانيات البنيوية واللسانيات الاجتماعية.

ينظر اللسانيون النظريون إلى الجماعة اللغوية على أنها مجموعة من الناس الذين يتكلمون لغة واحدة مثل الإنجليزية أو الفرنسية، ويشتركون في تحديد التشابه والاختلاف في الأصوات والنحو والصرف[2]، يمكن إذن إطلاق تسمية الجماعة اللغوية، على أولئك الذين تجمعهم لغة واحدة.

[1]- لويس جان كالفي، علم الاجتماع اللغوي، ص89.

[2]- برنار صبولسكي، علم الاجتماع اللغوي، ص71.

وقد ربط "أندري مارتيني" (André Martinet) بين مصطلح الجماعة اللغوية والتواصل في قوله: «يحصل التواصل كلما كانت هناك لغة...وإنما بإزاء لغة واحدة وحيدة كلما كان التواصل قائما»[1]، فيتّضح من هذا التعريف أن تحقق العملية التواصلية يقتضي لغة واحدة مشتركة بين المستعملين، ولكن رغم أن «أعضاء الجماعة اللغوية بإمكانهم أن يتكلموا بطريقة متماثلة بحيث يمكن لأحدهم أن يفهم الآخر كما يمكنهم أن يتباينوا»[2]، فاللغة المشتركة ليست شرطا في تحديد الجماعة اللغوية من منظور اللسانيين الاجتماعيين، بل تتشارك الجماعة اللسانية في مجموعة من المعايير الاجتماعية من خلال اللغة المستخدمة.

يركز علماء اللغة الاجتماعيون على الممارسات اللغوية التي تؤديها الجماعة اللغوية، من خلال التفاعل الواقع بينها، فهي بمثابة «شبكة اتصال متداخلة معقدة تواضع على معرفتها كافة أفراد هذه الأخيرة بالإضافة إلى معرفة هؤلاء بمختلف اتجاهات الاستعمال اللغوي عندهم وعند غيرهم من الجماعات الأخرى»[3]، فلابد للجماعة اللغوية أن تكون على معرفة تامة بالمعايير والاستعمالات اللغوية المتعلقة بمجتمعها، لتحقيق التفاهم فيما بينهم.

أما مصطلح المجموعة اللغوية عند "لابوف" فـ«لا يحددها أي اتفاق ملحوظ في استعمال عناصر اللغة، وإنما يحددها الاشتراك في مجموعة من المعايير التي تلحظ في نماذج صريحة من السلوك التقييمي، وانتظام نماذج تجريدية من التغيير تكون ثابتة بالنظر إلى مستويات معينة من الاستعمال»[4]، فلا يتحدد مفهوم الجماعة اللغوية في استعمال نفس العناصر اللغوية، وإنما بمجموعة المعايير المشتركة التي تضبط استعمال اللغة في المواقف والسياقات.

---

[1]- لويس جان كالفي، علم الاجتماع اللغوي، ص89.

[2]- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[3]- صبولسكي، علم الاجتماع اللغوي، ص72.

[4]- صبري إبراهيم السيد، علم اللغة الاجتماعي، ص28-29. نقله عن: wardhaugh, Ronald: An Introduction to sociolinguistics, Blachwell, Oxfored, U.K, 1992, p118.

انطلاقا مما سبق، يتضح أن مفهوم الجماعة اللغوية يختلف باختلاف وجهات نظر المختصين، فاللسانيات البنيوية تعتبرها مجموعة من الناس الذي يشتركون في لغة واحدة، أما اللسانيات الاجتماعية فهي تربط الجماعة اللغوية بالمعايير الاجتماعية التي تحدد السلوك اللغوي لدى الأفراد المستعملين، وبالتالي ترتبط الجماعة اللغوية بشكل واضح بمصطلح التنوع أو التغير اللغوي، الذي يظهر في استعمال اللغة من طرف الجماعة.

2_ التغير والتنوع اللغوي:

2_1_ مفهوم التغير اللغوي:

يُعدّ التغير اللغوي (changement linguistique) من أهم القضايا التي تعالجها اللسانيات الاجتماعية، يربطه اللسانيون الاجتماعيون بالتغيرات والوقائع الاجتماعية المسؤولة عن السلوك اللغوي لدى الأفراد.

ويأتي مصطلح التغير اللغوي في مقابل مصطلح التوحد، حيث برز في ساحة الدراسات اللسانية «اتجاهان متضادان في حياة اللغة: اتجاه نحو التنويع والانقسام. وآخر نحو التوحيد والتخلص من الفروق اللغوية»[1]، وقد اتجه الكثير من اللغوين نحو التقسيم والتنويع، كونه يميز اللغة الطبيعية، بالإضافة إلى الأخذ بعين الاعتبار «انقسام مجموعة ضخمة من اللغات المشتركة إلى لهجات متعددة» [2]، حيث إنّ عدد اللغات الحالي أكثر بكثير مقارنة بالماضي، فقد تفرّع عدد كبير من اللغات الأم إلى مجموعة من اللهجات التي تصبح بعد فترة زمنية طويلة لغات، مثل اللاتينية التي تفرّعت إلى: اللغة فرنسية، والإسبانية، والبرتقالية...الخ.

وقد انصب اهتمام اللسانيين الاجتماعيين في الستينيات من القرن العشرين أكثر على دراسة التغيّرات التي تطرأ على اللغة بسبب حركة المجتمع والتحوّلات التي تحدث فيه، وقد أثبت الواقع أنّ اللغة «قابلة للتغير والانتقال

[1]- كمال بشر، علم اللغة الاجتماعي، ص139.

[2]- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

من حال إلى حال، شأنها في ذلك شأن أي شيء في الوجود»[1]، فلا يمكن تصور ثبات أي لغة من اللغات الطبيعية على حالها، حيث إنّ «التغير يصيب اللغة في كل ظواهرها بلا استثناء، نعني بذلك أصواتها وصرفها ونحوها وألفاظها ودلالات هذه الألفاظ»[2]. فالتغيّر اللغوي ظاهرة تعتري اللغة في مستوياتها الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية، ويحصل ذلك «حينما تسمح صيغتان لغويتان بالتعبير عن "الشيء نفسه"، أي عندما ينطوي دالاّن على نفس المدلول»[3]، فقد نجد مجموعة من المفردات تختلف إما في النطق أو الصيغة الصرفية والتركيبية، لكنها تدل على الشيء نفسه، وهذا لا يضطلع بوظيفية لغوية كما هو الحال في اللسانيات البنيوية، وإنما هذه «الاختلافات الموجودة تضطلع بوظيفة أخرى هي الوظيفة الأسلوبية أو الاجتماعية»[4]، فيرتبط التغير اللغوي بوظائف غير لغوية تتمثل في العوامل الاجتماعية أو الجغرافية.

ويشير اللساني الاجتماعي "هدسون" إلى مصطلح "المتغيرات اللغوية" التي «قام علماء اللغة الاجتماعي بدراستها هي المتغيرات التي يثبت فيها المعنى بينما تتباين الصيغ»[5]، فيحاول اللسانيون الاجتماعيون تفسير التغيّرات التي تطرأ على الصيغ اللغوية التي تتباين من ناحية الشكلية، ومعناها يبقى ثابتا.

يعرّف اللساني الاجتماعي "شارل فيرغسون" التغير اللغوي بأنه «مجموعة من نماذج الكلام الإنساني، متجانسة التكوين، يمكن تحليلها بواسطة أساليب التحليل السنكروني المتوافرة، وفيها ذخيرة من العناصر بترتيباتها أو عملياتها، ومجال دلالي واسع يعمل في كل سياقات الاتصال الرسمية»[6]، فالتغيّر اللغوي متجانس ومنظّم، تتحكم فيه عوامل خارجية، تجعل كل فئة اجتماعية أو منطقة جغرافية تستعمل صيغة معيّنة للدلالة على معنى معيّن، تختلف

[1]-كمال بشر، علم اللغة الاجتماعي مدخل، ص173.
[2]-المرجع نفسه، ص174.
[3]-لويس جان كالفي، علم الاجتماع اللغوي، ص69.
[4]-المرجع نفسه، ص69.
[5]-هدسون، علم اللغة الاجتماعي، ص242.
[6]-صبري إبراهيم السيد، علم اللغة الاجتماعي، ص33.

تلك الصيغة عن الصيغة التي تستخدمها فئة أخرى للدلالة على المعنى نفسه، لذلك يتحدّث فرقسون عن التغيّر السنكروني الذي تهتم به اللسانيات الاجتماعية، وليس التغيّر الدياكروني الذي يتناوله فقه اللغة، والذي يتمّ فيه تتبع المسار التاريخي لصيغة لغوية معيّنة ورصد التغيرات التي تطرأ عليها عبر العصور المختلفة.

تمثّل اللغة في حدّ ذاتها متغيّرا إلى جانب المتغيّرات أو التنوّعات الأخرى؛ كاللهجات، والسجلات اللغوية، فـ «الاستعمالات المختلفة للغة واحدة التي ترتبط بمنطقة خاصة أو جماعة خاصة تسمى تنوعا لغويا»[1]، حيث يتكوّن كل مجتمع من مجتمعات صغيرة، كما يتكوّن من مناطق جغرافية مختلفة، ولهذا التنوّع الاجتماعي والتباعد الجغرافي أثر في التغير والتنوّع اللغوي.

ويتحدد مفهوم التغيّر اللغوي في «وجود المواد اللغوية كالأصوات والكلمات والسمات النحوية التي ترتبط بعامل خارجي كالمنطقة الجغرافية أو الجماعة اللغوية»[2]، فالتنوّع في الصيغ الصوتية أو الصرفية أو النحوية والمعجمية في لغة من اللغات، مرتبط بعوامل اجتماعية أو جغرافية، وتاريخية طبعا.

والفكرة المهمة التي ينبغي التركيز عليها، تتمثّل في ضرورة التمييز بين التغيّر الدياكروني/ التاريخي (changement diachronique) الذي يتجلى في التغير المستمر للغات وتطورها عبر حقب زمنية، والتغير الآني (السنكروني (le changement synchronique)، بحيث «يمكننا أن نعاين دوما في صلب اللغة الواحدة تعايش أشكال وصيغ مختلفة لمدلول واحد»[3]، وتتمثل مهمة اللسانيات الاجتماعية في البحث في التغيرات الآنية السنكرونية التي تطرأ على اللغة في المجتمع، ومحاولة تفسيرها.

[1]- محمد عفيف الدين دمياطي، مدخل إلى علم اللغة الاجتماعي، ص51.

[2]- المرجع نفسه، ص51.

[3]- لويس جان كالفي، علم الاجتماع اللغوي، ص69.

2_2_ التعريف ببعض المصطلحات المرتبطة بمصطلح التغير اللغوي:

2-2-1- التباين اللغوي (variation linguistique):

يعبّر مصطلح "التباين اللغوي" على الاختلاف والتغير في مستوى اللغة، ويُعرف بأنّه «الاختلاف القائم بين الأفراد في تبني الأنماط التعبيرية المختلفة من حيث الرموز اللغوية المستعملة والبنية الدلالية التي تحملها هذه الرموز والقدرة على الاسترسال في الكلام...إضافة إلى ما يتمتع به كل فرد من رصيد لغوي، وهي مؤشرات تختلف باختلاف الفئة الاجتماعية التي ينتمي إليها الفرد»[1]، إذ يشير التباين إلى الاختلافات الموجودة بين الأفراد في تعبيراتهم وقدرة كل واحد منهم على ايصال الفكرة بتأديته الفردية، بحيث ترتبط هذه الاختلافات والاستعمالات اللغوية المختلفة بالجوانب الاجتماعية للمتكلمين. فيشير استعمال شخص ما لغة معينة ونمط معين إلى الفئة التي ينتمي إليها هذا الشخص.

هناك تداخل بين المصطلحات السابقة (التغير أو التباين اللغوي، والتنوع اللغوي)، إذ تدل على جل الاختلافات اللغوية التي ترتبط باختلاف في الانتماء الجغرافي أو الاجتماعي للمتكلمين.

2-2-2- التحول اللغوي (Changement linguistique): يشير مصطلح التحوّل اللغوي إلى حدوث تغير ما في البنية اللغوية أو خارجها، فالتحول اللغوي «ظاهرة لغوية... داخل حدود الجملة. أو يكون خارج هذه الحدود. وبذلك يكون التحول داخليا أو خارجيا»[2]، هذه الظاهرة ليست طبيعية، بل تنجم عن استخدام المجتمع أكثر من لغة واحدة، حيث «يتحول المتكلم إلى لغة أخرى غير التي بدأ بها محادثته، ثم قد يعود الى اللغة التي بدأ بها أو لا يعود»[3]، ويحدث هذا لأسباب معينة يمكن تلخيصها فيما يلي:

---

[1]_ نسيمة تلي، فتيحة طويل، التباين اللغوي واللامساواة الاجتماعية المدرسية: قراءة تحليلية في مقاربة "الرموز اللغوية" لبازل برنشتاين، مجلة علوم الإنسان والمجتمع، جامعة بسكرة، المجلد 10، العدد 02، جوان 2021، ص201.

[2]- محمد علي الخولي، مدخل إلى علم اللغة، ص182.

[3]- المرجع نفسه، ص181.

«ـ إبراز المهارة: أي محاولة المتكلم في إظهار وإبراز تمكنه واتقانه للغة أخرى.

ـالاقتباس: بحيث يلجأ إلى لغة أخرى لاقتباس عبارة ما أو حكمة أو مثل.

ـتحديد المخاطب: أي التركيز على طرف معين من المحادثة للتأثير فيه.

ـالانتماء: يتم هنا لفت انتباه المستمع لتحديد العلاقة الخاصة بينهما.

ـتغيير نغمة التخاطب: فيستعمل المتكلم نغمة مختلفة في موقف المزاح، عن موقف الجد والرسمية»[1].

وتتحدد العلاقة بين التحول اللغوي والتغير اللغوي في التنوع الواضح في اللغة المستعملة، بحيث يظهر التنوع في لسان المتكلم، ويرتبط ذلك بالموقف والحاجة إلى استعمال لغة دون أخرى.

2-2-3-التداخل اللغوي (interference linguistique):

يحدث التداخل اللغوي في حالة استعمال المتكلم للغة ثانية، ويقصد به «المشكلات أو التداخلات اللغوية التي تظهر عند تعلم الفرد اللغة الثانية. لأنه عندما يكتسب اللغة الأم إنما يكتسبها دون معرفة لأنماط لغوية سابقة يمكن أن تتداخل في اللغة التي يتعلمها لأول مرة»[2]. حيث تظهر هذه التداخلات بتأثير اللغة الأم في اللغة الثانية أو العكس، وذلك بسبب الاحتكاك بينهما، ويمكن أن يكون التداخل اللغوي، من حيث الأصوات كأن ينطق صوت ما في اللغة الثانية كما ينطق في اللغة الأولى. كما يمكن أن يكون تداخلا صرفيا، من خلال الجمع والتثنية والتذكير والتأنيث، مثل قول «بعض الطلاب الأندونيسيين الذي يتعلمون اللغة العربية "اثنين كتاب واثنين كراسة"... تأثرا بلغتهم الأم التي لا تعرف نظاما خاصا للتثنية»[3]. أي إن اللغة الأصلية تؤثر في اللغة الثانية التي يتعلمها هؤلاء الطلاب.

---

[1]- محمد علي الخولي، مدخل إلى علم اللغة، ص181-182، بتصرف.

[2]- محمد عفيف الدين دمياطي، مدخل إلى علم اللغة الاجتماعي، ص82.

[3]- المرجع نفسه، ص87.

أما التداخل النحوي، فيظهر في تأثير نحو اللغة الأصلية في نحو اللغة الثانية، بحيث «يتدخل نظام ترتيب الكلمات الخاصة باللغة 1 في نظام ترتيب الكلمات الخاص باللغة 2»[1].

ويسير التداخل من «اللغة الأكثر هيمنة إلى اللغة الأقل هيمنة لدى الفرد... وقد يحدث التداخل من لهجة إلى لهجة في اللغة ذاتها، كأن تتدخل العامية في الفصيحة أو الفصيحة في العامية»[2]، فيمكن أن يحدث هذا الأخير على مستوى اللغة أو اللهجة. مثل ظهور بعض المصطلحات العامية على الفصحى، نحو ما نجده في اللغة العربية، إذ يلجأ العديد من المتكلمين إلى إدراج لغتهم الدارجة في اللغة الفصحى.

2-2-4- الاختيار اللغوي (Choix Linguistique):

يكون الاختيار اللغوي في المجتمعات التي تعرف الثنائية والتعددية اللغوية، وتتأثر عملية الاختيار بعدة عوامل منها:

«1_قدرة المتكلم. عادة يختار المرء اللغة التي يتقنها أفضل.

2_ قدرة المستمع. حيث يختار المتكلم اللغة التي يفهمها المستمع على نحو أفضل.

3_ العمر. فيميل كبار السن إلى استخدام لغتهم الأصلية، بينما يميل الصغار إلى استخدام لغة ثانية لإظهار انتمائهم إلى الوطن الجديد.

4_ المكانة الاجتماعية. بحيث يستخدم المرء لغة، لدلالتها على مستوى اجتماعي مرموق»[3].

نستنتج ممّا سبق أنّ مفهوم الاختيار اللغوي يرتبط بمفهوم التغير اللغوي، باعتبار أن المفهوم الأول يرتبط بالسياق الذي تستعمل فيه اللغة، كون هذه الأخيرة تختلف من حيث (المفردات، الأسلوب، وكيفية النطق... وهلم جرا) وباختلاف الموقف و السياق الخارجي، إذ يمكن ملاحظة الاختلافات والتغيرات في اللغة نفسها باختلاف السياق

[1]- محمد عفيف الدين دمياطي، مدخل إلى علم اللغة الاجتماعي، ص87.
[2]- محمد علي الخولي، مدخل إلى علم اللغة، ص208.
[3]- المرجع نفسه، ص180، يتصرف.

التي تُستعمل فيه، فمثلا اللغة العربية الفصحى تنقسم إلى عدة لغات فُصَحَى، وذلك من خلال السياق والمكان والموقف...الخ، فنجد اللغة العربية التي تستعمل في المدارس، ولغة الصحافة، ولغة السياسة، بالإضافة إلى لغة الأدب والكتابة، ففي كل هذه الميادين تستعمل اللغة الفصحى، إلا أنه يظهر الاختلاف واضحا في بنية هذه اللغة، لاسيما في الجانب المعجمي، فلغة السياسة مثلا تشمل على المفردات الخاصة بالسياسة كالدستور والانتخابات، والمؤتمرات وغيرها، فيطغى عليها الأسلوب الرسمي والموضوعي، ويكون فيها المتحدث مقيدا في كلامه، ويستعمل عبارات رسمية بينما تحوي لغة الأدب على مفردات أدبية وتركز على الجانب الجمالي، والأسلوب الأدبي.

3_ أنواع التغير اللغوي:

لا يخلو أيّ مجتمع من التغير اللغوي، باعتباره «مستوى التنوع الكلامي (الفرق القائم في كيفية النطق، أو في كيفية انتقاء الكلمات والقواعد النحوية)»[1]، حيث تظهر الفروقات اللغوية في جميع مظاهر اللغة (الصوتية، الصرفية، النحوية، والدلالية).

ويمسّ التغيّر اللغوي مستويات اللغة، وأهم المستويات التي تتأثّر بالعوامل ويطرأ عليها التغيير وبشكل أكبر من بقية المستويات، هي المستوى الصوتي والمستوى المعجمي، وأحيانا المستوى الدلالي، وقد يطرأ التغيّر كذلك على البنية الصرفية والنحوية، لكن ذلك يحدث بشكل بطيء جدا.

3-1 التغير الصوتي:

يعتبر التغير الصوتي من التغيرات الشائعة التي تطرأ على اللغة البشرية، ومن «أبرز مظاهر التغير الصوتي الفروق التي نراها بين لهجات اللغة الواحدة. إن اللهجات الإقليمية (أي الجغرافية) بما بينها من اختلافات لغة الناطقين بتلك اللغة لأسباب صوتية تكشف عن آثار التغير الصوتي التي طرأ على لغة ما»[2]، حيث تشير الاختلافات

[1]- برنار صبولسكي، علم الاجتماع اللغوي، ص36.

[2]- محمد علي الخولي، مدخل إلى علم اللغة، ص155.

في النطق على مستوى لهجات اللغة الواحدة إلى تغيّرٍ طرأ على تلك اللغة، وذلك لأسباب جغرافية أو اجتماعية وتاريخية كذلك، كالفروقات في لهجات اللغة العربية في نطق لفظة "قهوة" مثلا، التي تُنطق بأشكال مختلفة باختلاف الرقعة الجغرافية للناطقين، فهناك بلدان عربية تنطقها "**قهوة**" وأخرى "**قْهوة**" وهناك بلدان ينطقها سكانها "**أهوة**"...الخ، وذلك تبعا للمنطقة الجغرافية واللهجة التي تستعملها.

كما يمكن أن نجد فروقات في الأصوات، باعتبار أن «اللغة التي يتكلما الفرد تمثل إحدى المميزات الهامة بالنسبة له. فطبيعة الصوت نفسها تحدد نوع ذلك الفرد، فيما إذا كان طفلا أم بالغا، ذكرا أم أنثى، شابا أم شيخا...الخ»[1]، فيختلف الصوت لدى المتكلمين باعتبار جنسهم، وعمرهم، وطبقتهم...الخ. فالنساء مثلا يملن إلى ترقيق الأصوات والتحدث بلكنة لينة ورقيقة، بينما الرجال يركزون على أعضاء النطق أثناء كلامهم، ويعتمدون على الأصوات المفخمة والمجهورة، مثلا:

النساء ينطقن الطاء تاء نحو: (تلبت في: طلبت)، والضاد دالا في مثل: (فرد في: فرض)، والصاد سينا نحو: (سورت في: صورت). وهلم جرا. أما الرجال فينطقون هذه الأصوات كما هي ولا يرققونها، للدلالة على الذكورة.

كالاختلاف في نطق كلمة (ثوم) التي ينطقها البعض (توم) ، و (ثلاثة) و(تلاتة).، (طاقا) و(تاقا)...الخ.

3-2- التغير الصرفي:

يحدث التغير الصرفي على مستوى بنية وشكل المفردات والكلمات، حيث يُلاحظ وجود اختلاف في بنية الكلمات المستعملة من لهجة إلى أخرى ومن منطقة إلى أخرى، كما تظهر الفروقات الصرفية بسبب العوامل الاجتماعية، مثل السن، بحيث نلاحظ أن لغة الصغار تختلف عن لغة الكبار، ففي «مجال الصيغ يركز الصغير على الكلمات القصيرة، وعلى الأسماء (nous) أكثر من الأفعال»[2]، فالطفل الصغير ليس قادرا على انتقاء المفردات

[1]- صبري إبراهيم السيد، علم اللغة الاجتماعي مفهومه وقضاياه، ص219.

[2]- كمال بشر، علم اللغة الاجتماعي مدخل، ص204.

وتوظيفها بشكل مناسب، مثل استخدام كلمة: (ماء) للدلالة على رغبته في شرب الماء، أو كلمة (مؤلم) يقصد بها أنه تعرض لأمر ما.

كما تحدث تغيرات بنية الكلمة بسبب البعد الجغرافي، فمثلا: في منطقة بجاية تنطق بعض المناطق كلمة (حليب) كما يلي: (ayefki) بينما ينطقها البعض الآخر (akfay)، حيث يلاحظ وجود قلب في ترتيب الحروف: (f،Y ، k)، وحذف الحروف: (i،e)، وزيادة الحرف: (a).

الفعل (دان) مثلا، الاسم المفعول منه هو (مَديْن) وهناك من يقول (مديون).

3-3- التغير النحوي:

يقصد به «التغير الذي يقع في مستوى الجملة»[1] أو التركيب، ولا يطرأ التغيّر على التراكيب النحوية إلا بشكل ضئيل جدا، مقارنة بالتغيّرات الصوتية والصرفية، ويمكن أن نلاحظ التغير في مستوى التركيب من خلال عمر المستعمل أو المتكلم غالبا، فلغة الطفل تختلف عن لغة الشخص البالغ المتمكن من قواعد النحو، حيث نجد أن الطفل قد ينطق بالكلمة «قاصدا التعبير عن جملة. فيقول مثلا (شباك): قاصدا: اقفل الشباك»[2]. ويعود ذلك إلى عدم استطاعته على انتاج جملة مفيدة. كما «تبدو لغة الطفل عارية من الروابط والحروف، ويبدو التركيب ساذجا»[3]، وذلك نحو: ماء أشرب قاصدا: أريد شرب الماء.

واستحداث معاني نحوية بسبب التأثر بتراكيب اللغات الأجنبية، نحو (يؤدي دورا مهما / يلعب دورا مهما)

-جعل البعض الفعل (أكّد) متعديا بـ (على) نحو: أكّد على أهمية البحث. والصواب (أكّد أهمية البحث).

مثال مأخوذ من اللهجات الأمازيغية في منطقة بجاية، نجد في لهجة منطقة إسَاحْليان ومنطقة خراطة وضواحيها التي تُستخدم فيها صيغة النفي بإضافة اللاحقة (oula) في نهاية الفعل في الجملة المنفية، في مثل لن أذهب

[1]- محمد محمد داود، العربية وعلم اللغة الحديث، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، دط، القاهرة، مصر، 2001، ص43.

[2]- صبري إبراهيم السيد، علم اللغة الاجتماعي مفهومه وقضاياه، ص234.

[3]- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

(uttrouheghoula) أو تضيف اللاحقة (ani) في نهاية الفعل في مثل (uttrouheghani)، في حين نجد صيغة النفي في لهجة مدينة بجاية، ومنطقة أدكار، سيدي عيش ومناطق أخرى يكون النفي في لهجاتها بإضافة لاحقة (ara) في نهاية الفعل، في مثل (uttrouheghara).

3-4- التغير الدلالي:

يحصل التغير الدلالي في مستوى المعنى، حيث تستعمل كلمة معينة للدلالة على عدة معاني، وهو عكس التغير المعجمي، هذا الأخير تستعمل فيه كلمات متعددة للدلالة على معنى واحد.

ويحدث التغير الدلالي بسبب عوامل اجتماعية وجغرافية، فمثلا: كلمة (ichadh)، يختلف معناها باختلاف المنطقة الجغرافية إذ تستعمل في منطقة (بجاية) للدلالة على المعنى (يكفي)، بينما في منطقة (تيزي وزوو) معناها (احترق).

3-5- التغير المعجمي:

يحدث التغير المعجمي على مستوى المفردات والكلمات، حيث يُلاحظ وجود اختلاف في بنية الكلمات المستعملة من لهجة إلى أخرى ومن منطقة إلى أخرى، وتتعدد الصيغ المستعملة للدلالة على معنى واحد، فمثلا: تستخدم الكلمات: (مرحاض، دورة المياه، الحمّام، بيت الماء، بيت الراحة) للدلالة على معنى واحد وهو: (المرحاض)، لكن تظهر هذه الفروقات المعجمية بسبب عوامل الاجتماعية، فالكبار يقولون: (بيت الراحة، بيت الماء) والشبان يقولون: (المرحاض، الحمام، دورة المياه). كما يدخل هذا الصدد عامل السياق (contexte)، حيث تستعمل كلمة (مرحاض) في السياقات غير الرسمية مثل: أن تكون مع العائلة أو الأصدقاء، بينما تستخدم الصيغة (دورة المياه) في السياق الرسمي مثل: الوجود في اجتماع عمل أو في القسم، وهلم جرا.

يُلاحظ كذلك أن لغة الصغار تختلف عن لغة الكبار. فالكلمات التي يستخدمها الطفل الصغير تختلف عن الكلمات التي يستخدمها الكبار، فيستخدم الصغار مفردات بسيطة ومناسبة لأعمارهم، تدور حول اللعب

والاستمتاع... الخ، في حين تتنوّع المفردات المستخدمة من قبل الكبار يتنوع قاموسهم اللغوي، ويختلف باختلاف معتقداتهم ومهنهم وجنسهم وما إلى ذلك. فمثلا: لغة المرأة مختلفة عن لغة الرجل، بحيث تميل الإناث إلى «استعمال كلمات تؤكد على أنوثتهن، مثل: فاتن، جذاب، ساحر، رائع، حبيب، جميل، لطيف، حلو» ، أي أنهن يملن إلى إظهار الجانب الأنثوي والعاطفي، وذلك تبعا للفطرة والغريزة الخاصة بهن.

حدوث تغيّر معجمي في المجتمع الواحد بسبب اختلاف الطبقة الاجتماعية أو المستوى التعليمي، كأن نجد لفظة (الأب) في مصر مثلا، تُستخدم كما يلي:

أبناء الفقراء يقولون (بويا)

أبناء الطبقة الأرستوقراطية (بابي)

أبناء الفئة المثقفة يقولون (بابا)

4_ عوامل التغير اللغوي:

يحصل التغير اللغوي حينما «تسمح صيغتان لغويتان بالتعبير عن نفس الشيء، أي عندما ينطوي دالاّن على نفس المدلول وأن الاختلافات الموجودة تضطلع بوظيفة أخرى، هي الوظيفة الأسلوبية أو الاجتماعية»[1]، فالتغيرات اللغوية التي تحدث للغة لا تفسر إلا بالعودة إلى البيئة الاجتماعية.

إن تأثر اللغة «بحضارة الأمة، ونظمها وتقاليدها، وعقائدها، واتجاهاتها العقلية، ودرجة ثقافتها، ونظرها إلى الحياة، وشئونها الاجتماعية العامة. وما إلى ذلك»[2]، يؤدي إلى تنوعها وتغيرها و«الغالب أن يؤدي هذا التغير إلى ظهور تنوعات كثيرة، يمكن حصرها إجمالا فيما يسمى باللهجات»[3]، إذ يسهم التفاعل الحاصل بين اللغة والسلوكيات

[1]- لويس جان كالفي، علم الاجتماع اللغوي، ص79.

[2]- علي عبد الواحد وافي، اللغة والمجتمع، شركة مكتبات عكاظ للنشر والتوزيع، ط4، السعودية، 1983، ص13.

[3]- كمال بشر، علم اللغة الاجتماعي مدخل، ص175.

الاجتماعية المختلفة إلى تعدد الاستعمالات اللغوية من فرد لآخر ومن مجتمع لآخر، مما يؤدي إلى تنوع اللغة إلى مجموعة من اللهجات التي تكون إما (جغرافية أو اجتماعية).

4-1- مظاهر التغيّر اللغوي في اللغة العربية:

4-1-1- اللغة العربية ولهجاتها:

أ- اللغة العربية:

لقد أثارت "اللغة" (language) اهتمام الباحثين والدارسين في مجال اللسانيات، كونها تمثل أهم وسيلة يستعملها البشر للتعبير عن أفكارهم رغباتهم، فهي تعكس ثقافة المجتمع ومعتقداته. ويعرّف ابن جني اللغة قائلا: «أمّا حدُّها (فإنها أصوات) يعبّر بها كلّ قوم عن أغراضهم»[1]، فاللغة ميزة خاصة بالإنسان، وقد ربط ابن جني اللغة بالمتكلمين وبالمجتمع الذي يعتمد أفراده اللغة كوسيلة مهمة لتلبية حاجاتهم التواصلية بالدرجة الأولى، ويعرّف دي سوسير اللغة، بأنها «نتاج اجتماعي لملكة اللسان ومجموعة من التقاليد الضرورية التي تبناها مجتمع ما ليساعد أفراده على ممارسة هذه الملكة»[2]، حيث يؤكد سوسير في تعريفه هذا الطابع الاجتماعي للغة، كما يعرّف اللغوي البريطاني فيرث (Firth) اللغة بأنّها «ظاهرة اجتماعية، شأنها في ذلك شأن العادات والتقاليد، وهي من صنع الإنسان وابتكاره، ومن ثم فهي لصيقة به، وقريبة منه، بل هي جزء من معناه الذي لا تدرك حقيقته إلا بها»[3]، فاللغة مرتبطة بالإنسان ولصيقة به، لا يمكن فصلها عن أنشطته اليومية التي يقوم بها، فهي من الأمور الطبيعية المألوفة التي يمارسها جميع البشر على اختلاف أجناسهم بشكل عفوي، ولا تتطلب جهدا ولا تفكيرا، إذ «يستعملها الولد بيسر وهي عنده عملية بسيطة كالمشي والأكل والشرب والنوم وغسل اليدين قبل تناول الطعام، وها نحن نتكلم في كل حال

[1] – ابن جني، الخصائص، ج1، دار الكتب المصرية، مصر، 1952، ص33.

[2] – فرديناند دي سوسير، علم اللغة العام، ص27.

[3] – حسن كزار، اللسانيات الاجتماعية في الدراسات العربية الحديثة التلقي والتمثلات، دار الرافدين، ط1، بيروت لبنان، 2018، ص83.

من حالات الحياة وفي كل ساعة من ساعات الليل والنهار»[1]، حيث يكتسب الفرد اللغة في محيطه بعفوية، ودون بذل أي جهد، فيلتصق بها وتلتصق به وتلازمه في كلّ ما يقوم به في حياته.

واللغة العربية هي اللغة التي كان العرب يستخدمونها، منذ زمن بعيد، في تواصلاتهم وفي كلّ شؤون حياتهم، وهي لغة القرآن والحديث النبوي، ولغة الشعر العربي، ومرآة تعكس تراث العرب وتاريخهم وعاداتهم وتقاليدهم، و«ظلّت في مسيرتها عبر الزمن محتفظة بصورة أساسية بنظمها الصوتية والصرفية والنحوية، ولكن مع تنوّعات قليلة أو كثيرة، متدرّجة في هذا التنوّع من عصر إلى عصر، وبخاصة في الأداء النطقي والثروة اللفظية وصيغ التعبير، وبعض الظواهر النحوية، وفقا للظروف الثقافية والاجتماعية التي لفتها تاريخها الطويل»[2]، وهذا التغيّر الذي طرأ على اللغة العربية عبر العصور، والتنوّعات التي نتجت عن ذلك انجرّ عنه ميلاد عدة لهجات عربية مختلفة عن بعضها البعض قليلا أو كثيرا، حسب المناطق التي تستخدمها، فكل البلدان العربية تتحدث باللغة العربية، ولكن كل بلد يتميز بلغة خاصة تختلف عن لغة البلدان الأخرى على مستوى الاستعمال الشفوي فاللغة المستعملة في الجزائر تختلف عن اللغة المستعملة في العراق ومصر...الخ، ويرجع هذا إلى العوامل الجغرافية، التي تساهم بدورها في تنوع اللغة، بالإضافة إلى الاختلاف في العادات والتقاليد والمعتقدات.

ويصنّف "كمال بشر" اللغة إلى أنواع ، يمكن تلخيصها فيما يلي[3]:

_اللغة المعينة:

وهي اللغة التي يختصّ بها كل مجتمع، فاللغة العربية هي لغة العرب جميعا، وهي اللغة الموظفة في الأدب، بالإضافة إلى أنها لغة رسمية على المستوى السياسي العام. تختلف هذه الأخيرة من بلد إلى آخر، حيث يظهر التنوع في بعض

[1] _ صبري إبراهيم السيّد، علم اللغة الاجتماعي: مفهومه وقضاياه، ص121.

[2] – كمال بشر، علم اللغة الاجتماعي– مدخل، ص175.

[3] _ ينظر: المرجع نفسه، ص181-.187

الظواهر اللغوية لاسيما على مستوى الأداء النطقي والتوظيف[1]، فمثلا: تنطق بعض الحروف في بعض البلدان بطريقة مختلفة نحو: نطق حرف القاف في كلمة (قلبي) كما يلي: (ڤلبي، ألبي، كلبي). ويتم إبدال حرف الذال في مصر بحرف الزاي نحو: كلمة (يذهب): (يزهب)، (ذيل): (زيل)...الخ، وتسمى هذه اللغة بالعربية المصرية.

وبخصوص التسمية السابقة، نجد الباحث "كمال بشر" يعترض عن المصطلحات من قبيل ("العربية المصرية"، "العربية السعودية"، العربية المغربية...الخ، ، إذ يرى أنّ هذه النعوت مبالغ فيها وناتجة عن آراء إيديولوجية، فاللغة العربية ورغم تنوعها واختلافها، إلاّ أنها لا تصل إلى درجة أن تتفرق أوصالها وتنقسم بنيتها اللغوية، لأنّها لغة متماسكة، باعتبار أنّ هناك بنية لغوية مشتركة بين كلّ الدوّل العربية، وتتمثّل في اللغة العربية المستعملة في الكتابة، الأدب، التعليم، وفي الخطابات الدينية والسياسة ...الخ، وهي لغة القرآن، ولا يوجد اختلاف بين الدول العربية في استعمالاتهم للغة العربية في هذه المواقف الرسمية. أمّا الاختلاف فيتمثل في اللغات التي يتواصل بها الناطقون في مناطق مختلفة من العالم العربي، ومنه، يقترح هذا الباحث مصطلحات، مثل: "العربية في مصر"، "العربية في السعودية"، "العربية في الجزائر"...الخ، ويقصد بها لغات التداول اليومي بين أفراد كلّ مجتمع من المجتمعات المذكورة، أي لهجاتها المحلّية.

_اللغة النموذجية:

يطلق هذا المصطلح على التنوعات الخاصة بمجتمع ما، والتي تتميز بالرسمية وتتعلق بالأدب والسياسة والتعليم...، الخ. ويتم اختيار هذه اللغة لتكون نموذجا أعلى، كونها تتقيد بالقواعد النحوية المتفوق عليها، وتخلو من الظواهر اللهجية والبيئية، ما يجعلها توظف في إطار التعليم والدوائر الرسمية كالمؤتمرات والخطابات السياسية والمقالات الرسمية وما إلى ذلك. كما تمثل لغة الأدب والفن والعلم. فالواضح أن اللغة النموذجية تختلف باختلاف المجال الذي تُستعمل

[1]_ ينظر: كمال بشر، علم اللغة الاجتماعي- مدخل ، ص181، بتصرف.

فيه، فلغة السياسة تختلف عن لغة الأدب ولغة الفن...وهلم جرا، مما يعني أن كل نوع من اللغة العربية يزخر بتنوعات شتى لا يمكن إحصاؤها[1].

وتمثل اللغة النموذجية وحدة المجتمع وتماسكه، كونها توحد أفراد المجتمع على لسان واحد ولغة واحدة مشتركة، بحيث يستطيع الكل فهمها وتوظيفها والتفاعل بها. وتعتبر اللغة العربية مثالا جيدا حول اللغة النموذجية، باعتبار أن المجتمع العربي يشترك أفراده في الفهم المتبادل.

وتنشأ اللغة النموذجية انطلاقا من تطور وارتقاء لهجة معينة ذات موقع ثقافي متميز، إذ يتم اختيارها لتصبح نموذجا يحتذى ويؤخذ به وعدم الخروج عن إطاره العام. فمثلا قديما اشتهرت لهجة قريش نظرا للمكانة الاجتماعية والسياسية التي تحظى بها.

_اللغة المحلية:

يطلق عليها كذلك مصطلح الدارجة العامة، وتمثل المستوى الأدنى من اللغة في مقابل اللغة النموذجية التي تمثل المستوى الأعلى، وتستعمل اللغة الدارجة في الحياة العامة والخاصة وفي الأحاديث اليومية، وتتميز ببنية مختلفة عن اللغة الرسمية، خصوصا في الأداء النطقي، إذ تخالفها في ضوابطها وأحكامها، بالإضافة إلى التجاوزات في المعايير والقواعد المقررة. وتتسم اللغة المحلية بالبساطة، إذ يستعملها الأفراد في أغلب حديثهم، وتشمل هذه الأخيرة المتعلمين والأميين والمثقفين وغيرهم، عكس اللغة النموذجية التي تكون نوعا ما صعبة في الاستعمال ويتقنها المتعلمون والمتمكنون من اللغة[2].

يتضح مما سبق أن اللغة بصفة عامة واللغة العربية خاصة، تتفرع إلى العديد من اللغات واللهجات المتنوعة بتنوع المناطق الجغرافية، بالإضافة إلى الأسلوب الذي يؤدي دورا هاما في تغير اللغة وتنوعها، باعتبار أن كل مجال

[1]_ ينظر: كمال بشر، علم اللغة الاجتماعي- مدخل، ص 182.

[2]- المرجع نفسه، 186.

من المجالات الاجتماعية تستعمل لغة مختلفة في أصواتها وصرفها ونحوها ودلالاتها وقاموسها اللغوي وما إلى ذلك. يقول "عبد الواحد وافي" في هذا الصدد: «تتشعب لغة الكتابة أو اللغة الفصحى إلى شعب مختلفة تبعا لاختلاف فنون القول وما يمتاز به كل فن منها: الشعر، النثر الأدبي، الخطابة، القصة، الرسائل، التاريخ، القانون...الخ»[1]، أي أن لغة الشعر مختلفة عن لغة النثر والقانون والطب والسياسة...الخ. ويظهر هذا خصوصا في المستوى المعجمي، باعتبار أن المفردات والمصطلحات مختلفة ومتنوعة.

ب– اللهجة:

اللهجة يقابلها المصطلح الأجنبي (dialecte)، وهي في الاصطلاح العلمي الحديث «مجموعة الصفات اللغوية تنتمي إلى بيئة خاصة، ويشترك في هذه الصفات جميع أفراد هذه البيئة»[2]، أي إن اللهجة تمثل مجموعة من القواعد اللغوية التي يعرفها الأفراد الذين ينتمون إلى البيئة الواحدة. وتختص اللهجة «بمجموعة اجتماعية أو منطقة جغرافية محددة، ويتميز هذا النوع من اللهجات بلكنة مميزة، ومعجم لغوي مميز، ونظام نحوي وصرفي يختلف عن اللهجات الآخر ضمن اللغة الواحدة»[3]، إذ إن كل لهجة لها خصائص معينة تميزها عن اللهجة الأخرى ضمن اللغة الواحدة. تتفرّع اللهجات عن اللغة الأم، وتتشكل نتيجة التفاعل والتأثير والتأثر الحاصل بين اللغة والمجتمع الذي يستخدمها؛ فالانقسام والتنوّع اللهجي أمر لا مفرّ منه، تفرضه عوامل كثيرة (تاريخية، جغرافية، واجتماعية)، ومهما «حاول المصلحون التخلص من هذه اللهجات، والعمل على نمذجة اللغة، فمن الحتم أن تظهر اللهجات والتنوعات مرة أخرى، وتختلف فيما بينها، شأنها في ذلك شأن ما يجري في المجتمع من اختلافات في الطعام والملبس والعادات

[1]_ علي عبد الواحد وافي، اللغة والمجتمع، ص127.

[2]– إبراهيم أنيس، في اللهجات العربية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط1، القاهرة، مصر، 2002، ص15.

[3]– جون سوان وآخرون، معجم اللغويات الاجتماعية، تر: فواز محمد الراشد العبد الحق، عبد الرحمن حسني أحمد أبوملحم، مركز الملك عبد الله بن عبد العزيز الدولي لخدمة اللغة العربية، ط1، الرياض، المملكة العربية السعودية، 2019، ص114.

وأنماط السلوك»[1]، وتندرج ضمن الذخيرة اللغوية للمجتمعات التي تستخدمها، وتشكلّ تنوّعات متعايشة مع اللغة الأم، تُستخدم في التواصلات اليومية والأحاديث الحميمية، وتبقى اللغة المشتركة هي لغة المواقف الرسمية.

ونظرا لتعدد اللهجات وتنوّعها، أصبحت تشكلّ محور اهتمام الباحثين والدارسين في اللسانيات الاجتماعية وفي علم اللهجات، وقد حظيت اللهجات العربية على وجه الخصوص باهتمام الدّارسين، ليس العرب فحسب، بل هناك العديد من المستشرقين الغربيين الذين كرسوا جهودهم لدراسة اللهجات العربية وتنوّعاتها، ومقارنتها باللغة العربية المشتركة، ومن الباحثين الذين اهتموا بالتنوّع اللهجي في العالم العربي، الباحث "صبري إبراهيم السيد" الذي خصّص فصلا من كتابه (علم اللغة الاجتماعي مفهومه وقضاياه) لدراسة التنوّع اللهجي في اللغة العربية، والأساس في بحثه هذا هو محاولة ربط التنوّعات اللهجية بالعوامل الاجتماعية والجغرافية التي أسهمت في إنتاجها، يعني أنّ هذا الباحث لم يكتف بوصف اللهجات العربية وتصنيفها، بل انتهج نهج اللسانيين الاجتماعيين المحدثين في محاولة تفسيره للعوامل الاجتماعية والجغرافية التي تقف وراء تعدّد اللهجات العربية.

ويقدّم الباحث السابق (صبري إبراهيم السيّد) بعض أسماء اللهجات التي تفرّعت عن اللغة العربية الفصحى، منها:

_**الاستنطاء**: تختص بها قبيلة (هذيل، قيس، الأنصار...)، ويحصل فيها إبدال حرف العين نونا إذا جاورت حرف الطاء مثلا في كلمة: (أعطيناك) التي تستعمل كما يلي: (أنطيناك).

_**التضجع**: تنسب إلى قبيلة قيس وتمتاز بتباطؤها في الكلام.

_**التلتلة**: تنسب إلى قيس وتميم وأسد وربيعة، يكسر فيها حرف المضارعة مثلا في كلمة: (نحن نَعلم)، تصبح: (نحن نِعلم)...وما إلى ذلك[2].

[1]- كمال بشر، علم اللغة الاجتماعي مدخل، ص175.

[2]_ ينظر: صبري إبراهيم السيد، علم اللغة الاجتماعي مفهومه وقضاياه، ص123.

_الشنشنة: تنسب هذه اللهجة إلى أهل اليمن، وقبيلة تغلب، يتم فيها إبدال حرف الكاف شينا مطلقا كما في قول: (اللّهم لبّيك)، يقولون: (اللّهم لبيش)[1].

_الكشكشة: تستعملها قبيلة ربيعة، ومضر، وبكر، وتميم، وبعض أهل أسد، وهي عبارة عن إبدال كاف المؤنثة في الوقوف شينا، أو إلحاقها شينا، نحو قولهم: (إنش ذاهبة)، والتي تكون في الأصل: (إنك ذاهبة)، والبعض يقول: (أعطيتُكش) بدلا من قول: (أعطيتك)، وقد تبنوا هذه القاعدة، لغرض الفصل بين المذكر والمؤنث، باعتبار أن كل جنس يختلف عن الآخر فجعلوا حرف الشين فاصلا بينهما عوضا عن حركتي الفتحة والكسرة: (أعطيتكَ، أعطيتكِ)[2].

وإلى جانب اللهجات العربية القديمة، ظهر في العصر الحديثة عدد أكبر من اللهجات العربية بسبب توسّع رقعة هذه اللغة وارتفاع عدد الناطقين بها، وأصبح كلّ بلد عربي له لهجة تختلف عن لهجة البلد الآخر، وبالتالي ظهرت تسميات، مثل اللهجة الجزائرية، واللهجة المصرية، واللهجة السورية...الخ، فتشترك هذه اللهجات في بعض الجوانب وتختلف في جوانب أخرى كثيرة، فمثلا يقال في مصر والجزائر وتونس والمغرب: فلان فاطر، بدلا من: فلان مفطر. رغم أن كلمة (فاطر) و(مفطر) لا تدلان على المعنى نفسه في القاموس العربي، فالأولى يقصد بها: (خالق) مثلا: في قوله تعالى: «الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ ۚ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ» (سورة فاطر –الآية 01–). بينما تدلّ الثانية على: (الإفطار وعدم الصوم).

أضف إلى ما سبق، هناك إحدى اللهجات العربية، يُقال فيها، مثلا: (فلان مذهول) بدلا من قول: (فلان ذاهل)، أو قول: (فلان محمول) بدلا من: (فلان خامل).

---

[1] _ صبري إبراهيم السيد، علم اللغة الاجتماعي مفهومه وقضاياه، ص124.

[2] _ المرجع نفسه، ص125-126.

4-1-2- بين اللغة واللهجة:

إن «العلاقة بين اللغة واللهجة هي العلاقة بين العام والخاص، فاللغة تشتمل على عدة لهجات، لكل منها ما يميزها، وجميع هذه اللهجات تشترك في مجموعة من الصفات اللغوية، والعادات الكلامية التي تؤلف لغة مستقلة عن غيرها من اللغات»[1]، يشير صاحب هذه المقولة إلى أن اللغة أكبر من اللهجة فهذه الأخيرة هي وليدة الأولى، وأنه لا يمكن الفصل بينهما، باعتبار اشتراك اللهجات في مجموعة من الصفات اللغوية التي تعكس اللغة، وتظهر انتمائها إليها، هذا بالإضافة إلى أن «اللغة عند علماء اللغة الاجتماعيين هي صيغة كلامية عليا (مفروضة أو مقررة) توظف في الاتصال الاجتماعي العام بين المتحدثين بلهجات مختلفة، وهي في نظرهم أيضا أعلى درجة وأرقى من اللهجة، لاتساع وظائفها، وتجاوزها الحدود الضيقة للهجة أو اللهجات»[2]، حيث إنّ اللغة هي الجزء المشترك بين أعضاء الجماعة اللغوية، واللهجات هي التجسيد الفعلي للغة في الظروف المختلفة، فاللغة عامة تشمل اللهجات التي تنتمي إليها، واسعة الوظائف، وحدودها أكبر من حدود اللهجة.

ويذهب الباحث "رمضان عبد التواب" إلى أنه لا يمكن الفصل بين اللغة واللهجة، باعتبار أن «كل لغة كانت يوما ما لهجة من لهجات كثيرة للغة من اللغات، ثم حدثت عوامل كثيرة، أدت إلى موت اللغة الأم أو اندثارها، وانتشار كل بنت من بناتها في بقعة من الأرض، مكونة لغة لها خصائصها ومميزاتها، التي تنفرد بها عن أخواتها»[3]، وأحسن مثال بعض اللغات الأوروربية (الفرنسية والاسبانية والإيطالية...) التي كانت في يوم من الأيام مجرّد لهجات تابعة للغة اللاتينية، ثمّ أصبحت لغات كبيرة بعد موت اللغة الأم (اللاتينية)، فكل لغة كانت في القديم

[1]- إبراهيم أنيس، في اللهجات العربية، ص15.

[2]- كمال بشر، علم اللغة الاجتماعي مدخل، ص223.

[3]_ رمضان عبد التواب، فصول في فقه اللغة العربية، مكتبة الخانجى للطباعة والنشر والتوزيع، ط6، القاهرة، مصر، 1999، ص73.

مجرد لهجة، ولكن تفردها ببعض الخصائص البنوية جعلها ترتقي إلى درجة أعلى، وبالتالي اختيارها كلغة رسمية ونموذجية، تستعمل في السياقات والمواقف الرسمية، وهلم جرا.

4- 2- أثر العوامل الجغرافية في التغير اللغوي:

4-2-1- مفهوم العوامل الجغرافية:

تؤدي العوامل الجغرافية دورا هاما في ظهور التنوعات اللغوية المختلفة، حيث تتنوع اللغة المستخدمة بتنوع المنطقة الجغرافية (الريف، المدينة، المناطق الجبلية، المناطق الساحلية،...الخ)، فتؤثر المنطقة الجغرافية في استعمال اللغة، إذ تتمثل هذه العوامل المؤثرة في اللهجات في «اختلاف أقاليمها وما يحيط بكل إقليم منها من ظروف وما يمتاز به من خصائص... وكثيرا ما تختلف هذه المناطق اللغوية في حدودها عن المناطق المصطلح عليها في التقسيم الإداري»[1]، أي إن اختلاف الأقاليم يؤدي إلى اختلاف اللهجات وتنوعها، وأنّ التوزيعات والتقسيمات الإدارية لا تتناسب دائما مع استعمال اللغة المعينة، فمثلا : في منطقة (بوعنداس) التابعة إداريا لولاية (سطيف) فإن أغلب نواحيها لا يستعمل سكانها اللهجة السطايفية، بل يتكلمون بلهجة القبائل المعتمدة في منطقة القبائل، فجغرافيا هذه المنطقة (بوعنداس) قريبة من (سطيف)، ولكن لغويا لا تتبنى لهجة سطيف.

من السمات الأساسية للهجات المحلية «الاحتفاظ بشخصيتها وكيانها، فلا تدخر وسعا في محاربة عوامل الابتداع والتغيير في داخل منطقتها (...) أمّا محاربة عوامل الابتداع في داخل منطقتها فتتم بفضل العلاقات الوثيقة التي تربط الناطقين بها بعضهم ببعض وتربطهم ببيئتهم ومجتمعهم»[2]، فالعلاقات الوثيقة بين أفراد المجتمع الواحد تجعلهم وحدة

[1]_ علي عبد الواحد وافي، اللغة والمجتمع، ص119.
[2]_ المرجع نفسه، ص119-120، (بتصرف).

متماسكة داخل الجماعة، هذه العلاقات تضمن لهم قوة الضمير الجمعي، والاتحاد والتماسك الاجتماعي، وأي محاولة فردية للانحراف عن النظام اللغوي للجماعة، سيتلقى صاحبها ردّا قويّا، ورفضا عنيفا، ويسعى كلّ مجتمع إلى حماية لغته ولهجته من اللهجات المجاورة.

4-2-2- مفهوم التغير الجغرافي وتأثيره في التغير اللغوي:

يقصد بالتغير الجغرافي (changement social) «الاختلافات اللغوية الموجودة بين المتحدثين من مختلف المناطق الجغرافية والقرى أو المدن، وهذا يشمل الاختلافات في اللهجة والمفردات التي تشكل بنية الجملة»[1]، فالتغيرات الجغرافية هي تغيّرات تطرأ على لغة منطقة معينة بسبب البعد الجغرافي بين المناطق، لتنشأ لهجة خاصة ذات سمات تميّزها عن منطقة أخرى، ويدخل في ذلك نوعية البيئة الجغرافية، فاللهجة التي يتكلم بها الذين يعيشون في المدن، غير اللهجة التي يستعملها سكان الريف، واللهجة المستعملة في المناطق الساحلية غير التي نجدها في المناطق الجبلية أو الصحراوية، ففي المجتمع الجزائري، مثلا، نجد تنوعا لهجيّا في اللغة الأمازيغية التي تتفرّع إلى اللهجة القبائلية المتداولة في المناطق الشمالية، مثل (بجاية، بويرة، تيزي وزوو)، واللهجة المزابية التي تستعمل في ولاية (غرداية)، بالإضافة إلى اللهجة الترقية الخاصة بالتوارق في الصحراء، اللهجة الشاوية في (الأوراس)، وهذه اللهجات هي استعمالات متنوعة للغة الأمازيغية، وتختلف فيما بينها في البنية اللغوية (في الأصوات، الكلمات، والمعجم، ودلالة المفردات...) بسبب البعد الجغرافي بين المناطق التي تستخدم اللهجات المذكورة، والتي كانت في الأصل لغة واحدة.

4-2-3_ مفهوم اللهجات الجغرافية:

اللهجات الجغرافية (dialectes géographiques) يطلق عليها أيضا تسمية "اللهجات المحلية" (dialectes locaux)) تلك التي «تنسب إلى منطقة جغرافية معينة...على الرغم من التداخل الشديد بين حدود المناطق

[1]- جون سوان وآخرون، اللغويات الاجتماعية، ص326.

الجغرافية في البلد الواحد...وتعد اللهجة مثلا من أمثلة العامية العامة colloquial[1] أو نمطا خاصا منها؛ بوصف هذه اللهجة مميزة ومختلفة عن اللغة النموذجية (standard) أو الأدبية literary»[2]، وتُصنّف هذه اللهجة ضمن الحدود الجغرافية المنتمية إلى البلد الواحد، وتنتمي إلى اللغة العامية أو الدارجة لا الفصحى.

فمنطقة بجاية، مثلا، تزخر بتنوّع لهجيّ بتنوّع المناطق التي تستعمل تلك اللهجات، منها المناطق الساحلية، والجبلية التي يظهر فيها الفرق واضحا في طريقة الكلام، حيث تتميز المناطق القريبة إلى الجبال باللكنة الخشنة والمفردات القوية نوعا ما، ويمكن إرجاع هذا إلى البيئة الوعرة، وصعوبة العيش فيها. مثل:

_(هذا) أو (هذه): تنطق بالصيغة: (wagi) وَقِي، (thagii) ثَقِي

_ (تذهب): (attrouhedh) أسْرُحَضْ

عكس المناطق الساحلية التي يظهر في لهجاتها أصوات رقيقة، وكلمات لينة، فنجدهم ينطقون الكلمات السابقة: (Wayi) وَيِي لهذا، (thayi) ثَيِي لهذه، و(attrouhet) أسْرُحَض لتذهب، فالحياة في المدن الساحلية ميسورة وبسيطة، فتعكس لهجات الحياة اليومية تلك الحياة الرقيقة والميسورة من خلال ميل الناطقين إلى همس وترقيق أصوات اللغة، وخفض الصوت أثناء الكلام، عكس المناطق الجبلية التي تعكس فيها لغة المتكلمين قساوة الحياة وصعوبة المعيشة، فيميلون إلى الجهر وتفخيم الأصوات، مثل (ق) في (wagi) فهي مجهورة ومفخمة في لهجة أهل الريف، يستخدم أهل المدينة في مكانها (الياء) في (Wayi) المهموسة والمرقّقة.

أو استخدام مفردات مختلفة من منطقة إلى أخرى للدلالة على المدلول نفسه، في مثل:

[1]– العامية العامة colloquial: إلى استخدام اللغة والتعبيرات غير الرسمية والمألوفة بين الناس في المحادثات اليومية. هذه اللغة تعكس استخدامات المصطلحات والتعابير التي لا تتبع القواعد اللغوية الرسمية بشكل صارم، وقد تكون تعابيرها ومفرداتها متنوعة حسب الثقافة والمنطقة. تعتمد العامية العامة على العادات اللغوية والاجتماعية للمجتمعات التي تستخدمها، وتعبر عن التواصل اليومي والعفوي بين الأفراد.

[2]– كمال بشر، علم اللغة الاجتماعي – مدخل، ص194.

الألفاظ المستخدمة في اللهجات القبائلية للدلالة على معنى لفظة (الحليب) هناك مناطق تستخدم لفظة (ayefki)، وبعض المناطق تستخدم لفظة (akfay)، وأخرى تسميه (aherviv).

يتّضح ممّا سبق أنّ للبعد الجغرافي أثر في تباين بعض الأصوات والألفاظ والتراكيب النحوية في استعمالات المتكلمين باللغة نفسها، والسبب يرجع إلى انتمائهم إلى مناطق جغرافية مختلفة، ربما متباعدة قليلا، وذلك «لانتظامها مجموعة من الظواهر اللغوية التي تميزها عن لهجات المنطقة الأخرى»[1]، حيث كل لهجة محلية تتميز بخصائص وظواهر لغوية عن لهجة أخرى.

4-3- أثر التغير الاجتماعي في التغير اللغوي:

بالإضافة إلى التغيرات الجغرافية، فإنّ التباين الاجتماعي يؤثر بدوره في اللغة وتغيّرها، وبالتالي إلى تنوّعها واختلافها ليس فقط من منطقة جغرافية إلى أخرى، بل تتنوّع اللغة وتختلف داخل منطقة واحدة، حيث تشمل كلّ جماعة لغوية على فئات اجتماعية مختلفة، وذلك بسبب عوامل متعددة (كالعمر، الجنس، المهنة، الطبقة الاجتماعية، ...الخ)، هذه المسألة هي التي كرّس لها اللساني الاجتماعي الأمريكي (وليام لابوف) جهوده ووقته، حيث أجرى عدة دراسات ميدانية ليبيّن العلاقة بين التغيّرات الاجتماعية والمتغيرات اللغوية.

4-3-1- مفهوم التغير الاجتماعي (changement social):

يقصد بالتغير الاجتماعي «جميع الجوانب المتعلقة بهوية المتحدث الاجتماعية، مثل: (الطبقة الاجتماعية social class، والنوع الاجتماعي gender، والعمر age) وغيرها، والتي ترتبط بسلوك اللغة في البحوث الاجتماعية اللغوية»[2]، إذ إن التغير الاجتماعي يشمل الفئات والشرائح الاجتماعية المختلفة والمرتبطة بالسلوكيات

[1]- كمال بشر، علم اللغة الاجتماعي مدخل، ص195.

[2]- جون سوان وآخرون، معجم اللغويات الاجتماعية، ص257.

والاستعمالات اللغوية المتنوّعة، وهي تشكّل محل اهتمام اللسانيات الاجتماعية بحثا عن العلاقات والتفاعلات القائمة بين اللغة والمجتمع.

يعتبر الباحثون اللغة عنصرا مهما لتمييز شريحة اجتماعية عن أخرى، لأنّ التّغيّر والتنوّع اللغوي، في الغالب، هو أمارة على التباين الاجتماعي وتنوّع شرائح المجتمع، حيث أثبتت الدراسات الميدانية التي أجراها المتخصصون في اللسانيات الاجتماعية أنّ لكلّ شريحة اجتماعية لغة تميّزها عن غيرها من الشرائح، إلى درجة أنّ أفراد الأسرة الواحدة قد يختلفون في استعمالاتهم لبعض العناصر اللغوية بسبب التفاوت في أعمارهم، أو اختلاف مستواهم التعليمي، أو اختلاف وظائفهم ومهامهم في المجتمع... الخ، حيث يوجد «مظاهر لغوية خاصة بشرائح اجتماعية معينة تدل على تلك الشرائح دلالة واضحة. فمن الممكن تمييز لغة الأطفال عن لغة البالغين، ولغة المثقفين عن لغة الأميين ولغة طائفة دينية معينة عن لغة طائفة أخرى، ولغة المدرسين عن لغة النجارين»[1]، وهذا التفاوت والاختلاف في الفئات الاجتماعية لسبب من الأسباب المذكورة ينعكس في اللغة التي تتنوّع وتتباين من فئة إلى أخرى.

4- 3- 2- مفهوم اللهجات الاجتماعية (dialectes sociaux):

يُقصد باللهجات الاجتماعية «اللهجات التي تختلف تبعا لتباين الطبقات الاجتماعية من جانب، وتباين المهن والطوائف الحرفية من آخر»[2]، فينطوي مفهوم اللهجات الاجتماعية على الطبقات الاجتماعية باعتبار أن للغة «علامة طبقية متميزة ففي الجماعة الكلامية تختلف لغة المتعلمين عن لغة الأميين؛ والمتعلمون يختلفون فيما بينهم باختلاف درجة تعلمهم، ومهنهم، وباختلاف درجة ثرائهم وبسوى ذلك من الأسباب»[3]، إذ تُعدّ هذه الاختلافات سببا في اختلاف اللغة.

[1]- نايف خرما، أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة، دار المعرفة، ط2 الكويت، 1978، ص188.

[2]- حسن كراز، اللسانيات الاجتماعية في الدراسات العربية الحديثة التلقي والتمثلات، ص47.

[3]- محمود السعران، اللغة والمجتمع رأي ومنهج، دار المعارف، ط2، الإسكندرية، مصر، 1963، ص58.

تمثل اللهجة الاجتماعية تنوّعا لغويا خاصا بشريحة من الشرائح الاجتماعية، وتخضع اللهجة الاجتماعية لطبقات الناس وفئاتهم والتي تميز لهجة عن أخرى، حيث إنّ لكل لهجة اجتماعية بعض الخصائص الصوتية، والمعجمية والدلالية، (وقد تكون صرفية ونحوية لكن ليس بنفس الوتيرة) تنفرد بها عن غيرها من اللهجات الاجتماعية، وتتسم كلّ لهجة بثروة معجمية خاصة وبأداء خاص بالفئة التي تستخدمها، هذا ما يمكّننا من تحديد الشريحة التي تستخدمها، فهناك مثلا لهجة خاصة بالنساء، وأخرى خاصة بالرجال، ويظهر هذا بوضوح لدى «الشعوب التي يقلّ فيها اختلاط الرجال بالنساء، أو يعيش فيها كلا الجنسين بمعزل عن الجنس الآخر تحت تأثير نظم دينية أو تقاليد اجتماعية...وتكثر مظاهر هذا الاختلاف اللغوي كلما استحكمت حلقات الانفصال بين الجنسين...ويخفّ هذا الاختلاف اللغوي كلّما خفت قيود الاختلاف بين الجنسين، فتقتصر مظاهره على بعض فروق يسيرة في الأصوات والمفردات والجمل والأساليب»[1]، إذ يرجع الاختلاف في لغة الرجال والنساء إلى المعتقدات الاجتماعية، فكلما كان المجتمع محافظا ظهرت هذه التنوعات بكثرة بين الجنسين، بينما في المجتمعات المتفتحة تقلّ هذه الاختلافات بسبب الاحتكاك بين الجنسين في العمل، والمناسبات العائلية والرسمية...الخ. كما تؤدي الاختلافات الفيزيولوجية بين الجنسين دورا في إصباغ كل منهما بلغة خاصة، فلغة النساء عاطفية وليّنة وبنغمة هابطة، تتناسب مع طبيعتهن، بينما تتميز لغة الرجال بالخشونة والقوة وارتفاع الصوت وتفخيمه.

انطلاقا ممّا سبق، يميز بعض الباحثين في اللهجات الاجتماعية بين ثلاثة أنواع، تلخصها الباحثة هيبة خياري، فيما يلي[2]:

***اللغات الخاصة:** يقابلها المصطلح الأجنبي (Langues spéciales)، يقصد بها «التلوّن الذي لا يستعمل إلا من قبل أفراد أو جماعات فرعية...وقد ينطبق الأمر هذا على الحكام والقضاة والرهبان والسحرة ورؤساء

[1] _ علي عبد الواحد وافي، اللغة والمجتمع، ص135.

[2] – هيبة خياري، الخصائص الأسلوبية في اللهجات الاجتماعية... قراءة في الخطابات السرية، مجلة دراسات وأبحاث المجلة العربية في العلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد11، العدد1، تصدرها جامعة زيان عاشور، الجلفة، 2019، ص409.

القبائل أو العشائر، و الجماعات الفردية لقدامى أو ل(نبلاء) معلمين في مواجهة مرؤوسيهم ورعيتهم، أو أيضا الجماعات الفرعية للراشدين في مواجهة الأولاد... الخ»[1]، أي تتعلق اللغة الخاصة بجماعة فرعية ما، وتتميز بمعجم محدود يستعمله أفراد هذه الجماعة.

***اللغات العامية الخاصّة:** يطلق عليها كذلك "اللهجات الحِرفية" كونها متداولة بين الحِرفيين، من نجّارين وصيادين وطباخين... الخ، وتتميز كل فئة من هؤلاء بمعجم خاص يتناسب مع المهنة التي تمارسها.

ويذهب "فندريس" إلى أن هذه اللهجات مماثلة للغة الخاصة، إذ يقول في هذا الصدد: «والواقع أنّها ليست إلّا اسما آخر للّغة الخاصة، ويوجد من العاميات الخاصة يقدر ما يوجد من جماعات متخصصة. والعامية الخاصة تتميز بتنوّعها الذي لا يحدّ. وأنّها في تغير دائم تبعا للظروف والأمكنة. فكل جماعة خاصّة وكل هيئة من أرباب المهن لها عاميّتها الخاصة»[2]، إذ أنه يوجد عدد لا يحصى من هذه اللهجات العامية الخاصة، باعتبار أن كل فئة تختص بلغة معينة تبعا لطبيعة عملها ومهنتها، وأن هذه اللغة تتأثر بظروف الزمان والمكان، مما يجعلها في تغير وتنوّع دائمين.

***اللغات السريّة:** تسميها "جولييت غرمادي" بالتّلونات الطفيلية، التي تعبّر عن التلوّن العامي. تستعمل هذه اللغة من طرف «طائفة تخشى سلطة المجتمع، وتهرب من عقابه، وتحاول أن تخفي عنه أمرها؛ وذلك كلغة اللصوص، ولغة رجال العصابات، ولغة الحشاشين...»[3]، أي أن هذه اللغة متداولة بين فئات محدودة في المجتمع، والتي تكون متطرفة، نوعا ما، وخارجة عن القوانين التي تشرّعها الدولة.

4-3-3- أهم العوامل الاجتماعية المؤثرة في التغير اللغوي:

[1]_ جولييت غرمادي، اللسانية الاجتماعية، ص53.

[2]_ هيبة خياري، الخصائص الأسلوبية في اللهجات الاجتماعية... قراءة في الخطابات السرية، ص409، نقلا عن: فندريس، اللغة، ترجمة: عبد الحميد الدواخلي، محمد القصاص، المركز القومي للتجارة، ط2014، القاهرة، 1889، ص316.

[3]_ هادي نهر، علم اللغة الاجتماعي، ص166.

ذكرت دراسات كثيرة العوامل الاجتماعية التي تؤثّر في اللغة، وتؤدي إلى تغيّرها وتباينها وكذلك تنوّعها، من أهم هذه العوامل ما يلي:

***الاختلاف في الطبقات الاجتماعية:** يعود مفهوم الطبقة الاجتماعية إلى علم اللغة الاجتماعي الماركسي، حيث يتم تصنيف الطبقات في «الطبقة البرجوازية أو الطبقة المالكة owner class، وطبقة العمال أو الطبقة غير المالكة non-owner class»[1]، وهذه الأخيرة تؤثر في اللغة بشكل واضح، إذ إنه «من السهل الحكم على الفرد إذا كان من الطبقة العاملة...أو الطبقة الوسطى»[2]، والأشخاص الذين ينتمون إلى الطبقة العالية مثلا، يتميزون بلكنة مختلفة عن أصحاب الطبقة الوسطى أو الفقيرة، وتتسم لهجتهم ببعض السمات الصوتية، وينفردون ببعض الألفاظ... الخ.

وقد كان «ويليام لابوف السباق إلى لفت الانتباه إلى مدى تأثير الطبقات الاجتماعية على تصنيف الكلام»[3]، حيث لاحظ هذا الأخير في دراسة قام بها «في مدينة نيويورك يلفظ بعضهم تارة حرف /r/ بعد حرف صائت وطورا يختفي من عباراتهم»[4]، أي أن هناك متغير لغوي في مستوى الصوت يتمثل في حرف /r/، حيث برهن "لابوف" أن هذا التغير والاختلاف «يتطابق بصفة مباشرة والمكانة الاجتماعية لزبائن المتجر»[5]، وذلك بملاحظته «نسبة عالية للاستعمال لتلك الميزة الشاهدة على المكانة الاجتماعية الوراثية فيما بين البائعين الموجودين في الطابق الأعلى والأغلى من المتجر»[6]، أي أن ميزة نطق حرف /r/ بعد صائت مرتبطة بالطبقة الاجتماعية الثرية والراقية.

***السن:**

[1]- جون سوان وآخرون، معجم اللغويات الاجتماعية، ص352.
[2]- جون سوان وآخرون، معجم اللغويات الاجتماعية، ص352.
[3]- صبولسكي، علم الاجتماع اللغوي، ص106.
[4]- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.
[5]- المرجع نفسه، ص107.
[6]- صبولسكي، علم الاجتماع اللغوي، ص108.

تختلف لغة الأطفال عن لغة الكبار في القاموس اللغوي المستخدم، حيث «يبدأ الطفل لفترة المناغاة ثم ينتقل إلى تكوين الجمل المؤلفة من كلمة واحدة ثم من كلمتين ثم من عدة كلمات»[1]، وذلك لعدم معرفته لقواعد النحو وانتاج الجمل المفيدة، فمثلا الأطفال يستخدمون «كلمة "نبو" للدلالة على الماء، "ومح" للدلالة على اللحم، "وكخ" للدلالة على القذارة، "ودح" للدلالة على الشيء الجديد، "ودادي" للدلالة على المشي وهكذا»[2]، أما الكبار فيسمون هذه المدلولات بمسمياتها.

وتختلف اللغة المستخدمة بحسب الفئات العمرية حيث يلاحظ «استخدام واسع النطاق للغة العامية من قبل المراهقين بالمقارنة مع البالغين (آبائهم وأجدادهم»[3]، فلغة الكبار غالبا ما تكون محافظة ورسمية؛ بعيدة عن لغة الشوارع والعامية.

***الجنس:**

إن اختلاف الجنس (ذكر أو أنثى) أو النوع (genre)، يؤدي إلى «وجود سلوكيات لغوية لا إرادية مختلفة باختلاف الجنس، حيث نجد أن كثيرا من المجتمعات تميز بين لغة الرجال والنساء وفق قواعد مختلفة واضحة»[4]، فللغة النساء بعض السّمات التي تميّزها عن لغة الرجال، ويخصّ ذلك النغمة المصاحبة للكلام، وطريقة نطق بعض الأصوات، واعتماد معجم خاص بكل جنس، خاصة عندما يتعلق الأمر ببعض الموضوعات وبعض السياقات التي تبرز فيها هذه الاختلافات.

[1]- نايف خرما، أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة، ص194.

[2]- المرجع نفسه، ص194.

[3]- جون سوان وآخرون، معجم اللغويات الاجتماعية، ص26.

[4]- صبولسكي، علم الاجتماع اللغوي، ص100.

وللاختلاف المذكور دور في التغير اللغوي، وقد لاحظ "ويليام لابوف"، أنّه «في وضعية للتنضيد السوسيولساني المستقر، تكون النساء أكثر محافظة من الناحية اللغوية، ويملن إلى تفضيل المتغيرات ذات الامتياز الاجتماعي الصريح، بينما يقوم الرجال بالعكس»[1]، أي أن لغة النساء تكون أكثر تحفظا من لغة الرجال.

وبالإضافة إلى ما سبق، فإن المرأة لها «خواص بيولوجية في بعض أعضاء النطق، ونعني بذلك (الأوتار الصوتية) بالذات، ملاحظة بعض السمانة الصوتية التي تكاد تنفرد بها أو تشبع في محيطها أكثر من محيط الرجل»[2]، ممّا يجعلها تميل إلى ترقيق بعض الأصوات، مثل الصاد والطاء والظاء، عكس الرجل الذي غالبا ما يفخمها.

***المهنة:**

للحرفة أو المهنة التي يمتهنها الفرد أو الجماعة أثر واضح في اللهجة التي يستعملها مع الغير، فمن «أهم أنواع اللهجات الاجتماعية ما يسمونه (باللهجات الحرفية) وهي اللهجات التي يتكلم بها فيما بينهم أهل الحرف المختلفة كالبرادين والنجارين والنقاشين والصيادين والبحارة...وهلم جرا»[3]، فتختلف اللغة باختلاف الحرف والمهن التي يمارسها أفراد الجماعة اللغوية الواحدة، حيث تختلف لغة الأطباء عن لغة المحامين، والمدرسين، والمهندسين...، وهكذا تختلف لغة كلّ زمرة اجتماعية عن الزمر الأخرى، وينجرّ عن ذلك تباينٌ في استعمالاتهم للغة نفسها، ممّا يؤدي إلى اختلافها وتنوّعها.

وفيما يلي بعض من المفردات التي يتداولها كل من هؤلاء:[4]

[1]-فلوريان كولماس، دليل السوسيولسانيات، ص190.

[2]-كمال بشر، علم اللغة الاجتماعي مدخل، ص207.

[3]-علي عبد الواحد وافي، علم اللغة، ص191.

[4]- ينظر: صبري إبراهيم السيد، علم اللغة الاجتماعي مفهومه وقضاياه، ص209-210.

• تدور لغة الأطباء حول: المصطلحات العلمية، والمستشفى، وعيادة المريض، والدم، والتحاليل الطبية، والسماعة، والشاش...الخ.

• أما المحامون: فلغتهم تضم المفردات الخاصة بالحكم، والقضية، والإجراءات القانونية، والشهود، والبراءة، والإعدام...وهلم جرا.

• يستخدم المدرسون والأساتذة القاموس اللغوي الخاص، بالمدرسة والتعليم، مثل: الامتحان، النتيجة، التلميذ، الكتب، الكراس، السبورة...وغيرها.

***المستوى التعليمي والثقافي:**

إن المستوى التعليمي والثقافي بدورهما يؤثّران في الصيّغ اللغوية واختلافها، إذ توجد لغة يتميز بها «المثقفون وصفوتهم في مقابل لغة المتواضعين ثقافيا والمحرومين من التعليم والتثقيف»[1]، فكل من هؤلاء له لغته الخاصة، حيث تدور لغة المثقفين والمتعلمين حول المفردات العلمية والثقافة العامة والمعرفة بمجالاتها المختلفة، عكس الأميين، فنجدهم يتحدثون بحسب المهن التي يمارسونها، فالمزارع مثلا، نجدة يتواصل بكلمات تدور حول الزراعة والانتاج، والحرث، ...وهلم جرا، هذا إذا كان أميا ولا يعرف القراءة والكتابة.

خلاصة: نستخلص ممّا جاء في هذا المبحث ما يلي:

• تهتم اللسانيات الاجتماعية بدراسة علاقة اللغة بالمجتمع، وبالعوامل المختلفة التي تؤثّر في بنية اللغة.

•يحدث التغيّر اللغوي في مستوى اللغة، وهو ظاهرة عادية لا يمكن التخّلص منها، باعتبار أن اللغة مرتبطة بالمجتمع الذي تُستخدم فيه. وتحدث تغيّرات في مستويات اللغة (الصوتية، والصرفية، والنحوية، والدلالية، والمعجمية)، مما يؤدي إلى تنوعها وتفرعها إلى مجموعة من اللهجات الاجتماعية والجغرافية، هذه الظاهرة بـ"التغير اللغوي" أو "التنوع

[1]-كمال بشر، علم اللغة الاجتماعي مدخل، ص198.

اللغوي"، وبالتالي، فإنّ اللهجات تنشأ عن طريق انقسام اللغة وتنوعها، إذ أنه يمكن إرجاع ظهور هذه الأخيرة إلى التنوع والتغير اللغوي.

- لا يحدث التغير بسبب الوظائف اللغوية، وإنما يضطلع بوظائف اجتماعية وجغرافية، حيث كشف اللسانيون الاجتماعيون عن دور المتغيرات الاجتماعية والجغرافية في التنوّع والتغيّر والاختلاف اللغوي، وكانت أعمال اللساني الأمريكي (وليام لابوف) رائدة في هذا الجانب، حيث سبق (لابوف) غيره من اللسانيين إلى استثمار أفكار اللساني الفرنسي (أنطوان مييه) دراسة ظاهرة التغيّر اللغوي، وأجرى مجموعة من الدراسات الميدانية للتأكّد من صحة الفرضية التي تنصّ على أنّ التغيّر اللغوي سببه هو التغيّر الاجتماعي، وأُعتبر على أساس ذلك المؤسس الحقيقي للسانيات الاجتماعية، وعُرف الاتجاه الذي تخصّص فيه وليام لابوف بـ "اللسانيات الاجتماعية المتغيرة" وهناك من سماه أيضا باللسانيات الاجتماعية التغيرية (La sociolinguistique variationniste).

الفصل الثاني:

علاقة التغيّر اللغوي بالتغير الاجتماعي في ضوء

اللسانيات الاجتماعية المتغيّرة.

أولا- نبذة عن اللسانيات الاجتماعية المتغيّرة.

ثانيا- نماذج من دراسات لابوف الميدانية.

ثالثا- نماذج من دراسات أخرى حول التغيّر اللغوي والمتغيّرات الاجتماعية:

رابعا- نماذج من بعض الدراسات العربية حول التغيرات اللغوية والتغيرات الاجتماعية

الفصل الثاني

نماذج عن اللسانيات الاجتماعية المتغيّرة عند وليام لابوف

تطرقنا في الفصل الأول من بحثنا إلى مفهوم اللسانيات الاجتماعية، وقضاياها الأساسية، كما وقفنا عند قضية التغير اللغوي التي هي موضوع بحثنا، فانتهينا إلى العوامل المؤثرة في ظاهرة التغيّر والتنوّع اللغوي، ألا وهي المتغيرات الاجتماعية والجغرافية.

وسنعرض في هذا الفصل بعض نماذج من الدراسات الميدانية التي أجراها العالم وليام لابوف حول اللغة الإنجليزية في بعض المجتمعات الأمريكية، وتندرج دراساته هذه ضمن الفرع الجديد الذي أسّسه هذا العالم والموسوم "اللسانيات الاجتماعية المتغيّرة (Linguistique variationniste de W.Labov)، حيث يشكل التغيّر اللغوي قضيته الأساسية، فقد كرّس لابوف جهوده ودراساته لدراسة المتغيّرات اللغوية وعلاقتها بالتغيّرات الاجتماعية، عُرف لابوف بتحليلاته العلمية، كما عُرف بنماذجه حول **المتغيّرات الصوتية** في بعض اللهجات في مناطق مختلفة في أمريكا، هذه الدراسات اعتمدت على تحريات ميدانية قام بها هذا العالم من خلال إجراء تسجيلات في جماعات لغوية، يحاور أفرادها الذين يتكلمون بشكل عفوي، وهو يسجّل محادثاتهم دون أن يشعروا بذلك، بحثا عن العلاقة التي تربط التغيّرات والتنوّعات في لغة محاوريهم بالتغيّرات الاجتماعية التي تطرأ على حياة هؤلاء المتكلمين، فيحاول دائما أن يجد تفسيرات في الواقع الاجتماعي للتباينات اللغوية الذي يلاحظها في الاستعمالات اليومية للمتكلمين الذين ينتمون إلى جماعة لغوية واحدة.

وبما أنّ نماذج لابوف تناولت كلّها المتغيّرات الصوتية، فسوف نستعين بنماذج أخرى لباحثين آخرين تبنوا فكرة لابوف، ودرسوا اللغة بالمنهج الذي دعا إليه لابوف، لكن هم ركّزوا على المتغيّرات أخرى؛ كالمتغيرات المعجمية

والدلالية، كما اعتمدنا نماذج أخرى تناولت المتغيرات الصوتية باعتماد طريقة لابوف، وذلك لتدعيم ما أقرّه هذا العالم ولتوضيح أهمية أطروحاته، وفاعلية الدراسات الميدانية وفائدتها في التعامل مع الواقع والاستعمال الفعلي للغة، وإبراز أثر المجتمع في التنوّع اللغوي، وسنجتهد من حين لآخر بتقديم بأمثلة من الواقع الجزائري (باعتماد المتنوّعات السائد في المجتمع الجزائري: العربية الفصحى ولهجاتها في بعض الأحيان، واللهجات الأمازيغية في أحيان أخرى) لأنّ هذا الواقع ثريّ بالتنوّعات المختلفة؛ منها تنوّعات خاصة باللغة العربية، وتنوّعات أخرى خاصة باللغة الأمازيغية، دون التطرق للتنوّعات التي قد يتنجم عن استعمال اللغات الأجنبية.

أولا/ نبذة عن اللسانيات الاجتماعية المتغيّرة:

1_ التعريف باللسانيات الاجتماعية المتغيّرة:

مصطلح "اللسانيات الاجتماعية المتغيّرة" أو "علم اللغة الاجتماعي المتغيّر" هو ترجمة للباحث العربي "منذر عياشي" للمصطلح الأجنبي (sociolinguistique variationniste)، عند ترجمته لـ"القاموس الموسوعي الجديد لعلوم اللسان"[1] من تأليف "أزوالد ديكرو" (Oswald Ducrot) وجان ماري سشايفر (Jean-Marie Schaeffer)، حيث ورد في القاموس السابق فصل عنوانه "اللسانيات الاجتماعية"[2]، يلخص فيه المؤلفان بعض اتجاهات اللسانيات الاجتماعية، منها "اللسانيات الاجتماعية المتغيرة" للساني الأمريكي وليام لابوف/ وهناك من ترجم مصطلح (variationniste) بـ **"التغيّرية"**، أي "اللسانيات الاجتماعية التغيّرية".

[1]-O. Ducrot et J. M. Scheaffer : *Nouveau Dictionnaire Encyclopédique des Sciences du Langage,* Éd. Seuil, 1995.

– ترجمه منذ عياشي، الطبعة الأولى كانت 2003، الطبعة الثانية سنة 2007، الطبعة الثالثة 2013.

[2] –أوزوالد ديكرو، جان ماري سشايفر، القاموس الموسوعي الجديد لعلوم اللسان، من ص134 إلى ص138.

يعد "وليام لابوف "مؤسّس اللسانيات الاجتماعية المتغيّرة، وهو منهج يُعتمد في دراسة التغيّر اللغوي وعلاقته بالمتغيرات الاجتماعية، وتهتمّ اللسانيات الاجتماعية التغيّرية «بكل ما يتغير في اللغة وتدرس البناء الاجتماعي لهذا التغير»[1]، ويحدث التغير اللغوي وفقا للبناء الاجتماعي، إذ حاول "لابوف" وأقرانه من علماء اللغة الاجتماعيين أمثال "فيشمان" و"فيرغسون" «مراقبة الممارسات اللغوية بين المتحدثين في مجتمعاتهم التي يعيشون فيها فأعطوا بذلك رؤية جديدة في دراسة اللغة من هذا الجانب الاجتماعي»[2]، فربطوا بين السلوك الاجتماعي والسلوك اللغوي لأفراد المجتمع الواحد.

طوّر "لابوف" الاتجاه السابق كرد فعل على «النموذج التوليدي لوصف اللغة –كونها شيئا متجانسا»[3]، هذا الاتجاه الذي يقوده "نوام تشومسكي" (Noam Chomsky) يعتبر اللغة كائنا متجانسا، كما وصف «كفاءة (المتكلم –السامع) المثالي في إطار جماعة متجانسة، وذلك بالاعتماد على الأحكام القاعدية»[4]، يتّضح ممّا سبق الفرق بين الاتجاه المتغيّر الذي اشتهر به "لابوف" والنموذج التوليدي لدى "تشومسكي"، باعتبار أن اللسانيات الاجتماعية لا تحصر اللغة في البنى القاعدية، وإنما «تهتم بكل ما يتغير في اللغة وتدرس البناء الاجتماعي لهذا التغير»[5]، فهي تركز العناية على كل التغيرات التي تحتملها اللغة وعلاقتها بالبناء الاجتماعي، وتهدف اللسانيات الاجتماعية المتغيّرة إلى تحقيق غايتين في الوقت نفسه، تتمثل الأولى في تصنيف التباين اللساني (التغير اللغوي)،

---

[1]– أوزوالد ديكرو، جان ماري سشايفر، القاموس الموسوعي الجديد لعلوم اللسان، ص134.

[2]– عبد القادر علي زروقي، الجماعات اللسانية من منظور علم اللغة الاجتماعي دراسة في المفهوم وآلية البحث، ص996.

[3]– جون إي جوزيف وآخرون، أعلام الفكر اللغوي التقليد الغربي في القرن العشرين، ج2، تر: أحمد شاكر الكلابي، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط1، بيروت، لبنان، 2006، ص218.نقله عن:

-weinreich,et autr,s. (1968) 'Empircal fondations for a theory of language change', in W. P. Lehmann ans Y. Malkiel (eds), Directions for Historical Linguistics.Austin: University of Texas press. P100.

[4]– أزوالد ديكرو، جان ماري سشايفر، القاموس الموسوعي الجديد لعلوم اللسان، ص134.

[5]–المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

والبناء الاجتماعي الذي يحكم هذا التغير، أما الغاية الثانية فهي تتمثل في إدخال هذه التغيرات في الشكل الذي اقترحه "لابوف" للقواعد المتغيرة.

لم يكتف وليام لابوف بوصف المتغيرات اللغوية وتفسير أسبابها الاجتماعية، إنما سعى كذلك إلى خلق نظرية تعتد بالقواعد المتغيرة، وتفسح «مجالا يتلمس المرء فيه نحوا واحدا لكل الجماعة اللسانية، ويسجل في الوقت نفسه، من خلاله، اجراءات التمايز الاجتماعي والأسلوبي التي تغطي هذه المجموعة»[1]، إذ يُلاحظ أن الاتجاه التغيري لا يختلف عن الاتجاه البنيوي والتوليدي، باعتباره نحوا كاملا، ولكنه يتعارض في شكل القواعد التي يصنفها، فإذا «كانت القواعد في النحو التوليدي تصنيفية تبويبية، فإن القواعد المتغيرة على العكس من ذلك، قواعد تقوم على التحديد الكمي»[2]، بحيث يسمح التحديد الكمي بتحديد السياقات التي تساعد (أو لا تساعد) المتغيّر اللغوي على الظهور.

يرى "لابوف" أنّه في الأساس «لكي نفهم اللغة علينا أن نتفحص بإمعان وبشكل مباشر بيانات الكلام اليومي ما أمكن ذلك وأن نصف علاقتها بنظرياتنا النحوية بدقة ما وسعنا ذلك ونعدل في النظرية ونغير فيها»[3]، فهو يسعى إلى تطوير النظرية التي تقول بأن اللغة كائن متجانس (ويقصد النظريات البنوية التي تؤمن باللغة الموحدة والقواعد المتجانسة) وضرورة إدخال قواعد الكلام اليومي ضمنها، لأنّ الاستعمال الفعلي يثبت وجود التباين والاختلاف، ولا يوجد تجانس.

نستنتج ممّا سبق أنّ مفهوم اللسانيات الاجتماعية التغيرية يدور حول مصطلح (التغير الاجتماعي-اللساني)، يربط صاحب هذا الفرع بين المتغيرات الاجتماعية التي تشكّل محل اهتمام علماء الاجتماع، والمتغيرات اللسانية التي

---

[1]-أوزوالد ديكرو، جان ماري سشايفر، القاموس الموسوعي الجديد لعلوم اللسان، ص135.

[2]-المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[3]-جون إي جوزيف وآخرون، أعلام الفكر اللغوي التقليد الغربي في القرن العشرين، ص220-221، نقلها عن: Labov, W. (1972). Sociolinguistic Patterns. Philadelphia: university of Pennsylvania Press, p201.

يبحث فيها علماء اللغة. وسيتّضح ذلك أكثر عند عرض نماذج من دراسات لابوف للمتغيّرات الصوتية وربطِه لهذه الأخيرة بالعوامل الاجتماعية أو الجغرافية، ويحاول دائما أن يجد تفسيرا للتباين اللغوي بالنظر إلى سلوكيات المتكلمين ومختلف العوامل الاجتماعية التي تؤثّر في لغتهم.

2_ منهج اللسانيات الاجتماعية التغيرية:

اقترح "لابوف" المنهج الكمي (Quantitative) للبحث في المتغيرات اللغوية، حيث نشأ «علم اللغة الاجتماعي الكمي الذي أسسه لابوف من الاهتمام بالعمل الميداني التجريبي الأصيل في مجال علم اللغة»[1]، إذ يقوم هذا المنهج على الخروج إلى الميدان «بدءا من اختيار الموقع وبناء العينات، وانتهاء بالدراسة الكمية والكيفية للمعطيات»[2]، أي يتم جمع العينات من الميدان، وتحليلها تحليلا كميا فيتم رصد «مجموع المتغيرات الذي يكوّن عددا كبيرا من الأشكال الممكنة لقول (الشيء نفسه)، وإذ ذلك نعمل على إبراز القيود غير اللسانية التي تسوس كل متغير»[3]، فيعتمد في التحليل الكمي على حصر أغلب المتغيرات المحتملة لمدلول واحد، ثم يتمّ الانتقال إلى البحث في العوامل غير اللسانية التي تؤدي بدورها إلى ظهور هذه الأشكال المتغيرة. كما «يستكشف النموذج الكمي الاطراد في التنوع اللغوي بفحص الأبعاد الخارجة عن اللغة نفسها، وربط التنوع فيها بالتنوع في اللغة، وهذه الأبعاد، بالطبع اجتماعية»[4]، بحيث يتم البحث في الجوانب المحيطة باللغة والتنوعات التي تعتريها، ثم ربطها بدورها بالتنوعات اللغوية المختلفة.

---

[1] –جون إي جوزيف وآخرون، أعلام الفكر اللغوي التقليد الغربي في القرن العشرين، ص217.

[2]– أزوالد ديكرو، جان ماري سشايفر، القاموس الموسوعي الجديد لعلوم اللسان، ص135.

[3]– المرجع نفسه، ص135.

[4]– فلوريان كولماس، دليل السوسيولسانيات، ص108.

دعا اللسانيون الاجتماعيون، على رأسهم لابوف، إلى تحديد موقع التغير اللغوي بالخروج «إلى الفضاء الاجتماعي للبحث عن موقع تواجد النوعيات من اللغة للكلام ضمن وحدات اجتماعية محددة ومعروفة»[1]، أي دراسة لغة العائلات، والمدن، والقرى، والولايات، والمناطق، للكشف عن الاختلافات الممكنة (الاجتماعية والإقليمية) لغرض «البحث وإيجاد العلاقة القائمة بين مختلف التنوعات اللغوية ذات الدلالة وبين المجموعات الاجتماعية ذات الدلالة وفي ظروف اجتماعية معينة»[2]، أي البحث في العلاقة بين البنية الاجتماعية والبنية اللغوية وهذه الفكرة طرحها "ميبه" قبل هؤلاء ذاهبا إلى أنّه «من الواجب أن نحدد مع أي بنية اجتماعية تتفق بنية لغوية معينة، كما أنه من الواجب أن نحدد كيف تتمثل تغيرات البنية الاجتماعية، بطريقة عامة، في تغيرات البنية اللغوية»[3]، فقد أشار "ميبه" إلى أن كل بنية لغوية أو وحدة لغوية معينة تناسب بنية اجتماعية ما، وأن تغيّر هذه الأخيرة يؤثر بطريقة مباشرة في تغير الأولى (البنية اللغوية).

طوّر لابوف فكرة أنطوان ميبه، وسعى إلى تحديد الاختلافات والتباينات في الوحدات اللغوية الناتجة عن الاختلاف في الموقع الجغرافي أو الاجتماعي، قائلا: «إنّ هدفنا من الدراسة هو بنية تطور اللغة في السياق الاجتماعي الذي شكّله المجتمع اللغوي»[4]، ولا يقتصر عمل "لابوف" على البحث في البنية اللغوية فحسب، فهذا من اختصاص اللسانيين البنويين الذين درسوا اللغة بمعزل عن السياق الاجتماعي وعزلوا الكلام كونه يتغير من شخص لآخر ولا يمكن حصره في الدراسات البنوية، بل يربط اللغة بظروف استعمالها وسياقاتها الاجتماعية المختلفة.

---

[1]- برنار صبولسكي، علم الاجتماع اللغوي، ص71.

[2]- المرجع نفسه، ص73.

[3]- محمود السعران، اللغة والمجتمع، ص62.

[4]- عبد القادر علي زروقي، الجماعات اللسانية من منظور علم اللغة الاجتماعي دراسة في المفهوم وآلية البحث، ص997، نقلها عن: Labov, W, (1976), Sociolinguistique, Minuit, Paris, France, p258.

أحدث "لابوف" تغييرا في طريقة التعامل مع الكلام، وجدّد في منهج الدراسة، معتبرا إيّاها ظاهرة اجتماعية تتأثر وتؤثر في المجتمع الذي يستخدمها، ولم يفصلها عن الكلام، وركّز على مفهوم المتغير اللغوي؛ بالخصوص التغيّر الصوتي والمعجمي، هذا الأخير يحدّده بأنّه «مجموعة لغوية تتألف من عنصرين متغيرين أو أكثر معناهما الأساسي متطابق»[1]، أي مجموعة من الدوال لمدلول واحد. وقد ربط هذا الأخير بأسباب موجودة «خارج عن اللغة (Extra-linguistique)، والمتمثلة في (الطبقة الاجتماعية، الجنس، السن، الموطن، العرق، مواقف المتحدثين، ظروف الاتصال، وما إلى ذلك...)»[2]،حيث إن كل متغير لغوي يقابله متغير اجتماعي مناسب له، وسوف تتضح هذه الأفكار من خلال النماذج التي اعتمدها "ويليام لابوف" في دراساته الميدانية، والتي سيتم عرض أهمها في العناصر الآتية من هذا المبحث.

ثانيا–نماذج من دراسات لابوف الميدانية:

أجرى وليام لابوف مجموعة من تحريات ميدانية، يهدف من خلالها إلى «دراسة علاقة اللغة–بوصفها متغيرا– بالمقومات الاجتماعية المختلفة، فمثلا في كل اللغات هناك متغيرات صوتية وتركيبية ودلالية، وهذه المتغيرات على علاقة وطيدة بالمقومات الاجتماعية، كالطبقات الاجتماعية مثلا... أو التغيرات الاجتماعية المبنية على أساس النوع، الرجل والمرأة، أو السن، أو الرباط الاجتماعي»[3]، فيقر لابوف بوجود علاقة بين المتغيرات الاجتماعية والتغيرات التي تطرأ على مستويات اللغة (الصوتية، الصرفية، النحوية، الدلالية، والمعجمية)، باعتبار أن هذا المنهج يعتد بالتغير اللغوي، فهو يدرس كل الجوانب الاجتماعية لهذا التغير.

[1]– جون إي جوزيف وآخرون، أعلام الفكر اللغوي التقليد الغربي في القرن العشرين، ص226.

[2]– عبد القادر علي زروقي، الجماعات اللسانية من منظور علم اللغة الاجتماعي دراسة في المفهوم وآلية البحث، ص997.

[3]_ ريم بسيوني، علم اللغة الاجتماعي في الوطن العربي (محاور ونظريات)، دار وجوه للنشر والتوزيع، ط1، المملكة العربية السعودية، الرياض، 2018، ص6.

ركز "لابوف" في أبحاثه على المتغيرات الصوتية، لأن التّنوّع اللغوي يتجلى بشكل واضح وأكبر في مستوى الأصوات، ويتجلى أيضا بكثرة في الجانب المعجمي، وقد تمس الجانب الصرفي والنحوي والأسلوبي، هذه المتغيّرات اللغوية تحمل وظائفا اجتماعية، لأنّ التغير اللغوي يعكس التنوّع والتباين القائم بين الفئات الاجتماعية المختلفة، ويسعى لابوف في دراساته إلى الكشف عن تلك الوظائف من خلال التحريات الميدانية التي أجراها في مدن مختلفة بأمريكا.

تقوم طريقة لابوف على «إجراء المقابلات مع عينات كبيرة من المتكلمين من مجموعات اجتماعية مختلفة وكانت تهدف إلى استدراج مدى واسع من الأساليب المرتبطة بالسياق من كل فرد من الأفراد»[1]، أي حصر أكبر عدد ممكن من العينات المنتمية لمجموعات مختلفة للحصول على نتائج دقيقة يمكن تعميمها فيما بعد على منطقة ما أو مجتمع ما. بحيث تهدف هذه المقابلة إلى استدراج المتكلمين ليتلفظوا بتلك العبارات والأساليب التي يرغب الباحث في سماعها من أجل دراستها، لأنّ التغيّر اللغوي يظهر بوضوح في لغة التداول اليومي، أضف إلى ذلك الاختلاف القائم بين اللغة الرسمية والاستعمالات المختلفة لهذه اللغة باختلاف السياقات، والعامية المختلفة التي تعكس الاختلاف والتنوّع الاجتماعي.

1_ دراسة لابوف حول الاختلاف في نطق بعض حروف اللين بـ"مارتاس فينيارد":

يدور موضوع هذه الدراسة حول «كيفية أداء حروف اللين (semi-voyelles) من قبل سكان يقطنون جزيرة تقع في عرض سواحل الماستشتس (Massachusetts،) هي مارتاس فينيارد (Martha's vineyard): نطق المزدوج الصوتي /ay/ في كلمات مثل: right ،white ،pride ،wine، أو wife والمزدوج الصوتي /aw

[1]_ جون إي جوزيف، وآخرون، أعلام الفكر اللغوي التقليد الغربي في القرن العشرين، ص223.

في كلمات مثل: house، out، doubt، الخ»[1]، حيث تركّز دراسة لابوف هذه على التغير اللغوي على المستوى الصوتي.

مارثاز فينيارد هي جزيرة متواجدة في ماساشوستس، وهي من الجزر الواقعة على مسافة قريبة من شاطئ نيو انغلند (New England) حيث يوجد في هذه الجزيرة، كما تشير الدراسات، حوالي 6000 مزارع (يزرعون الكروم الأصلية) ويتوزّعون على أربع مجموعات اجتماعية فرعية:

- تتمثل المجموعة الأولى في أحفاد سلالة الإنجليز منذ القرن 17.
- تشمل المجموعة الثانية المهاجرين من أصل برتغالي.
- الهنود.
- ومجموعات متنوعة من (الفرس، الألمان، والبولنيون) حيث يمثلون 15% من المجموع الكلي[2].

كما لاحظ الدارسون في هذا التوزيع تنوع الأشكال الاجتماعية والإثنية، ونتج عن ذلك تنوع في المعتقدات، والثقافات، والمستوى المعيشي، والطبقات الاجتماعية وغيرها، ومنه تنوع اللغة المستخدمة.

ويكمن المتغير اللغوي حسب ما لاحظه "لابوف" في العنصر الأول من المزدوجات التي ذكرناها سابقا، حيث يميل سكان "مارتاس فينيارد" إلى نطق الصوت /a/ من /ay/ و /aw/ إلى الاقتراب من /e/، ما جعل هذا العالم يخرج إلى الجزيرة للبحث عن الأسباب التي جعلت من هؤلاء السكان يتميزون بنطق خاص، ولا يستعملون النطق العالمي للغة الإنجليزية الذي يتمثل في نطق الصوت /a/ دون إمالته.

[1]_ لويس جان كالفي، علم الاجتماع اللغوي، ص70.

[2]_ ينظر: محمد زيان، إسهامات أنطوان مييه ووليام لابوف في علم الاجتماع اللغوي، مجلة دراسات وأبحاث، المجلد 10، العدد 4، ديسمبر 2018، ص381.

حاول لابوف «دراسة صورة وهيئة هذا التغير الصوتي دراسة دقيقة في ضوء القوى الاجتماعية التي تؤثر بعمق في حياة الجزيرة»[1]، حيث افترض وجود علاقة بين المتغير الصوتي /a/ والبيئة الاجتماعية المتعلقة بالجزيرة. وذلك بالبحث عن «التعالقات (corrélations) القائمة بين الصفة اللغوية (" تمركز المزدوجين الصوتين") والصفات السوسيولوجية: توزيع/ توزع التمركز حسب **التوزيع الجغرافي** (الجزيرة السفلى/ الجزيرة العليا)، **التوزيع بحسب الزمر الاجتماعية** (صيادون، مزارعون، الخ)، وحسب **الأصل الإثني** (l'éthnie d'origine) إنجليزي، برتغالي، هندي، الخ»[2].

اعتمد لابوف في بحثه على الفرضيات الثلاثة المذكورة في الأعلى والتي يمكن توضيحها كما يلي:

أ- رَبط لابوف المتغير الصوتي /a/ بالبعد الجغرافي: أي جزيرة عليا وجزيرة سفلى، بحيث يستخدم المزدوج الصوتي العادي /ay/و /aw/ في أحد طرفي الجزيرة، بينما يميل أصحاب الطرف الآخر نطق الصوت /a/ إلى /e/، لكن لم توصله هذه الفرضية إلى النتيجة الصحيحة.

ب- قام بربط المتغيّر السابق بالحِرَف التي يمارسها سكانا لجزيرة، مثلا: يستعمل الصيادون النطق العادي، أما المزارعون فيتبنون النطق المختلف، أو العكس. لكن النتيجة التي تحصل عليها لم توصله إلى الحلّ الصحيح لإشكاليته.

جـ -ثمّ افترض أن السبب يعود إلى الأصول الإثنية بسبب تنوع الأصول الإثنية لسكان جزيرة "مارتاس فينيارد"، حيث اعتقد لابوف أنّ الاختلاف في نطق المزدوجين الصوتيين السابقين مرتبط باختلاف أصول المتكلمين

[1]_ لويس جان كالفي، علم الاجتماع اللغوي، ص73. نقله عن: William Labov, les motivations socialesd'un changement phonétique, in sociolinguistique, op. Cit, 1976, p73.

[2]_ لويس جان كالفي، علم الاجتماع اللغوي، ص71.

(إنجليزي، برتغالي، هندي...). لكن هذه الفرضية بدورها لم توصله إلى الكشف عن سبب الانحراف عن الاستعمال العادي للمزدوجين الصوتيين.

لاحظ لابوف أن البعد الجغرافي ليس هو السبب في الاختلاف في نطق المزدوجين الصوتيين المدروسين، حيث يتمركز كلاهما في الجزيرة السفلى والعليا معا. كما لاحظ أن فئة من الصيادين مثلا يستخدم بعضهم النطق القاري والبعض الآخر لا. أما فيما يتعلق بالأصول العرقية للمتكلمين، فإنّ ذلك لا يشكّل سببا في اختلاف نطق هؤلاء للمزدوجات الصوتية، حيث هناك متكلمون ينتمون إلى أصول نفسها لكنّهم يختلفون في نطقها.

في بداية البحث كان "لابوف" قد اعترض للصعوبات «التي يلاقيها سكان الجزيرة من حيث بقائهم واستقرارهم في الجزيرة (...) فالفينيارديون يشهدون نسبة بطالة هي ضعف نسبة باقي البلاد»[1]، أي أن المستوى المعيشي في الجزيرة ضعيف ونسبة البطالة هائلة، ما جعل بعض السكان يضطرون إلى الهجرة للبحث عن مستوى معيشي أفضل. عكس البعض الآخر الذي عزم البقاء في الجزيرة والدفاع عنها.

هذه الأوضاع ساعدت "لابوف" في تصنيف مواقف السكان إلى: «الموقف الايجابي: الذين يؤثرون البقاء، الموقف السلبي: أولئك الذين يرومون الذهاب، والموقف الحيادي أي لا رأي لهم»[2]، حيث يتعمّد أصحاب الموقف الايجابي استخدام النطق المختلف، ونتج عن ذلك توزيعا اجتماعيا لهذه المزدوجات في كلامهم. أما أصحاب الموقف السلبي، فيقررون التخلي عن استعمال النطق الجزيري (إمالة الصوت /a/ إلى /e/) وتبني النطق القاري prononciation (continentale).

[1] _ لويس جان كالفي، علم الاجتماع اللغوي، ص71.

[2] _ المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

تشير هذه التجربة إلى الفكرة التي طرحها "لابوف" والمتعلقة بربط المتغيرات اللغوية وغير اللغوية، حيث نلاحظ أن هذه الدراسة تمت على أساس المقاربة السوسيولسانية (التحليل السوسيولساني) وهي كالآتي:

أولا/ البحث عن المتغيرات المطردة والمتكررة في البنية اللغوية، في هذه الحالة تتمثل في كيفية نطق المزدوجين /ay/ و/aw/، أي تحديد جل المتغيرات التي لوحظت في كلام الناطقين.

ثانيا/ الانتقال إلى البحث في الشرائح الاجتماعية الخاصة بالناطقين، باعتبار أن استعمال فرد من أفراد الجزيرة نطقا معينا، يشير بدوره إلى الشريحة الاجتماعية التي ينتمي إليها (سنه، جنسه، مهنته، أصله، وطبقته الاجتماعية...الخ).

بناء على ما تمّ ذكره، استدعت المنهجية التي سلكها "لابوف" في دراسته هذه ودراسات أخرى، إجراء جل التقاطعات بين المتغيرات الصوتية التي يدرسها، والشرائح الاجتماعية المختلفة، بحيث تسمح هذه التقاطعات الحصول على توزيع معين لكيفية النطق بحسب اختلاف توزيع هذه الشرائح. ومن خلال إجرائه لهذه التعالقات في الدراسة السابقة، انتهى لابوف إلى أن التغيّر والتباين في نطق المزدوجات الصوتية (المذكورة في الأعلى) من طرف سكان جزيرة مارتاس فينيارد لا ترتبط بأبعاد جغرافية أو اجتماعية فحسب، وإنما يمكن أن تتعلق بالجوانب الاجتماعية الاقتصادية؛ باعتبار المشاكل الاقتصادية التي يعاني منها الأفراد، وتدني المستوى المعيشي في الجزيرة، ممّا أثّر في أدائهم لبعض المزدوجات الصوتية. فقد أدّت الأوضاع التي يعيشها سكان الجزيرة إلى اختلاف طريقة نطقهم بحسب مواقفهم من هذه الأزمة، فالذين يرومون الهجرة تبنوا النطق القاري، لكونهم يأملون في مغادرة الجزيرة واللجوء إلى منطقة أخرى من مناطق قارة أمريكا، لذلك يتحدثون الإنجليزية العامة المستخدمة في القارة بصفة عامة، أما الراغبون في البقاء فإنّهم تبنوا نطقا خاصا بالجزيرة دون غيرها من المناطق.

يؤكّد لابوف من خلال دراسته هذه وجود العلاقة بين البنية اللغوية والبنية الاجتماعية، حيث أثبت في عدة دراسات أثر الظروف والعوامل الاجتماعية في التغيّر والتنوّع اللغوي، فوضّحت الدّراسة السابقة كيف أثّر العامل

الاقتصادي في اللغة، وهذا العامل يتمثّل في صعوبة المعيشة في جزيرة مارتاس فينيارد بسبب انتشار البطالة ورغبة جزء من السكان في المغادرة أو الهجرة إلى مناطق أخرى بحثا عن العمل والاستقرار وحياة كريمة، وجزء آخر يفضّل التمسّك بالجزارة والبقاء فيها مهما كان الوضع الاقتصادي وصعوبة الظروف المعيشية، إلاّ أنّهم لن يتخلّوا عن جزيرتهم، وقد عكس لغة هؤلاء ذلك الشعور بضرورة المغادرة أو ضرورة البقاء في الجزيرة، وقد تجلى ذلك الفرق بين الفئتين في طريقة أدائهما للمزدوجين الصوتيين /ay/ و/aw/، الفئة الأولى تمركز الصوت /a/ إلى /e/، وتتبنى النطق الجزيري، والثانية تتبنى النطق القاري للغة الإنجليزية، فتنطق المزدوجين الصوتيين /ay/ و/aw/ كما يُنطقان في الإنجليزية الكلاسيكية.

2_التنضيد الاجتماعي للصوت /r/ في المحلات الكبرى بمدينة نيويورك:

سيتم في هذا العنصر عرض تحرٍ ميدانيّ آخر أجراه "وليام لابوف" ليبرهن على وجود علاقة بين التغيّر والتباين اللغوي والتباين الاجتماعي، يتمثل في تحليل تنضيد الصوت /r/ في المحلات الكبرى بمدينة نيويورك، وقد وضّح تفاصيل دراسته في عمل نشره تحت عنوان: (**the social stratification of English in New York city' department stores**) أو (التنضيد الاجتماعي للغة الإنجليزية في محلات كبرى بمدينة نيويورك).

وتُعتبر هذه الدراسة تجربة أكثر منهجية من الدراسة التي قام بها في "مارتاس فينيارد"، حيث لاحظ هذا العالم وجود متغير لغويّ يتمثل في اختلاف أداء حرف الراء (r) في لغة المتكلمين في مدينة نيويورك، فتارة يتمّ إبراز حرف الراء لدى الناطقين باللغة الانجليزية، ويختفي من عباراتهم تارة أخرى[1].

[1] ينظر: بيار آشار، سوسيولوجيا اللغة، تع: عبد الوهاب تزو، دار منشورات عويدات، ط1، بيروت، لبنان، 1996، ص64. بتصرف.

لقد أشرف "لابوف" بنفسه على هذه الدراسة، فبعدما لاحظ أن الناطقين بمدينة النيويورك يختلفون في أدائهم للصوت (r)، قرّر أن يكشف عن الوظيفة الاجتماعية لهذا الصوت بالمدينة نفسها، ويكشف عن أسباب التنوّع والاختلاف في نطق هذا الصوت، ففكّر في إجراء تحرّ ميدانيّ في ثلاثة محلّات تجارية كبرى بالمدينة، وهي موزعة حسب السلم الاجتماعي، كما يلي:

_ متجر راق ذو أسعار مرتفعة جدا، يتمّ فيه تسوّق للأزياء الراقية، وهو موجود بشارع (Saks Fifth)

_ متجر متوسط السعر للطبقة المتوسطة في منطقة تضمّ متاجر أخرى متوسطة المستوى بمنطقة (Macy's).

_ متجر شعبي رخيص، وهو اقتصادي جدا مخصص للطبقة العاملة بمنطقة (klein's) بالقرب من الجهة الشرقية السفلى، وهذه المنطقة تمثّل حيًّا للمهاجرين في ذلك الوقت[1].

كان محور الدّراسة سؤال أيّ شخص من هذه المتاجر، بحيث تكون إجابته تتضمن عبارة الطابق الرابع (fourth floor)، وذلك لملاحظة كيفية نطق حرف الراء. ومن الأسئلة التي كان لابوف يوجهها للعمال بالمتاجر:

-لابوف (يسأل): 'Where are the lamps?' (أين المصابيح؟)

- مساعد المتجر (يجيب): ('They're on the **fourth floor**') "إنها في الطابق الرابع (كلام عادي)

- لابوف (يسأل): 'Excuse me?' عفوا؟"

- مساعد المتجر: They're on the **fourth floor** - إنّها في الطابق الرابع[2]، هنا يكرّر العامل العبارة بعناية حتى يسمع لابوف الجواب بشكل جيّد).

[1]- The platform designed to make learning easy, Labov – New York department store study, https://www.studysmarter.co.uk/explanations/english/language-and-social-groups

-[2]المرجع نفسه.

ويطرح لابوف أسئلة أخرى على العمّال حول مكان وجود بعض الملابس أو أشياء أخرى، وهو يختار الأسئلة التي سوف يحصل من خلالها على أجوبة تتضمّن كلمات فيها حرف/r/، وحين يتلقّى جوابا، يتصرّف وكأنّه لم يسمع أو لم يفهم الجواب، فيقول: عفوا؟ أو يكرر سؤاله مرة أخرى، حتى يتأكّد من نطق المتكلّم للحرف (r) أو عدم نطقه له.

وحينما انتهى لابوف من جمع وتدوين الإجابات محددا العوامل الخاصة بكل موظف (المتجر، الطابق، والقسم، الجنس، العمر المقدر...) بالإضافة إلى الوظيفة الخاصة بكل شخص (رئيس قسم (في كل طابق)، بائع، أمين صندوق، السلالة، النبر، أجنبي أو من نفس المنطقة) كانت النتيجة هي أن يتمّ إنجاز المتغير اللغوي /r/ أو اختفاؤه في كلام الناطقين. وأفضت هذه الدراسة إلى نسب مئوية متفاوتة لإنجاز صوت الراء بين المتاجر الثلاثة المذكورة أعلاه. وكان "لابوف" قد طرح بعض الفرضيات الخاصة **بسن** المتحدث، **والسياق اللغوي، والمكانة الاجتماعية**، وذلك بمقارنة نوعية المحلات التي أقام فيها بحثه. ويوضح الشكل الآتي النتائج المتحصل عليها في هذا البحث:[1]

[1] هدسون، علم اللغة الاجتماعي، ص248، نقله عن: Labov, W (1972). Sociolinguistic Patterns. Philadelphia: University of Pennsylvania Press. P52.

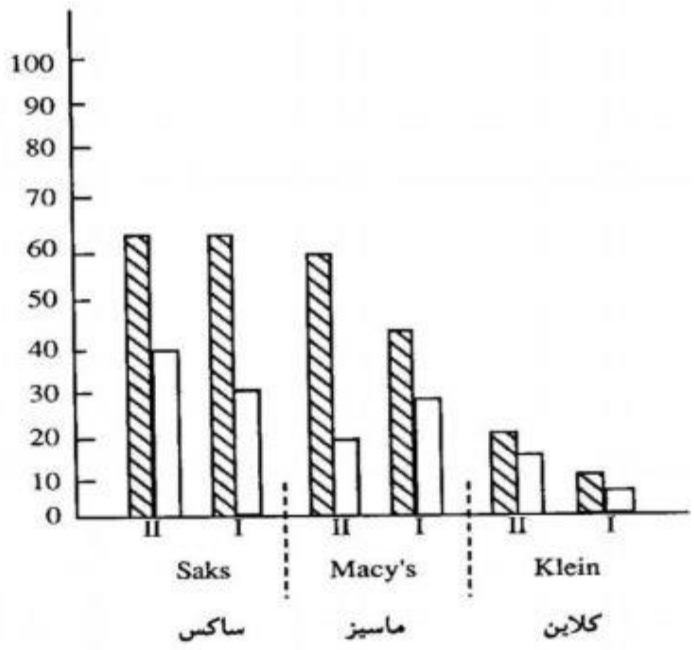

الشكل(1) النسبة المئوية لنطق الصوت /r/ في مدينة النيويورك

تحليل الشكل: يوضح الشكل أعلاه النسب المئوية لتحقيق صوت الراء، في المحلات الثلاث، حيث يمكن تدوين النسب في الجدول التالي:

	Saks	Macy's	Klein
المرة الأولى	(Fourth): 30% (Floor): 63%	(Fourth): 29% (Floor): 45%	(Fourth): 7% (Floor): 12%
المرة الثانية	(Fourth): 40% (Floor): 63%	(Fourth): 39% (Floor): 60%	(Fourth): 18% (Floor): 24%

الجدول (1): النسب المئوية لتحقيق الصوت (r) في المحلات الكبرى.

اختلفت النسب المئوية المتحصّل عليها في المرة الأولى عن المرة الثانية، حيث تعمد "لابوف" جعل البائعات يكررن العبارة (fourth floor)، للتحقّق من كيفية نطقهن للكلمات. تتوزع النسب المئوية العالية لتحقيق إنجاز صوت الراء في المحل التجاري (ساكس) المصنف في أعلى السّلم (الطبقة الراقية) خاصة في الكلمة (floor) التي تجاوزت نسبة تحقيق الصوت 60% في المرة الأولى والثانية، أما في محلات (ماسيز) فنلاحظ أن النسبة مختلفة بشكل طفيف مقارنة مع (ساكس) مع الإشارة إلى ارتفاع نسبة تحقيق الصوت في: (floor) في المرة الثانية، بحيث ارتفعت النسبة من 45% إلى 60%. أما (كلاين) المصنف في (أدنى السلم) فسجلت فيه نسب مئوية ضئيلة في إنجاز الصوت.

لاحظ "لابوف" أن التنضيد الاجتماعي للمحلات التجارية الثلاث يعكس «التمييز الدقيق بين العاملين تبعا لوظائفهم، فيمكننا التمييز بين ملاحظي الأدوار والبائعين والمسؤولين عن المخازن، ويمكننا التمييز أيضا بين العاملين في المتجر نفسه، لأن البضائع ذات المكانة الاجتماعية العالية غالبا ما تباع في الأدوار العليا»[1]، وساعد ذلك في البحث عن سبب وجود تباين بين المتكلّمين في أداء الصوت (r) بين فئة تنطق هذا الصوت وفئة أخرى يختفي في كلامها، فربط لابوف هذه الظاهرة بتوزيع المحلات حسب الطبقات (طبقة عليا، طبقة متوسطة، وطبقة دنيا) ويتّضح ذلك من خلال النسب المئوية لإنجاز صوت الراء الواردة في الجدول رقم (1) حيث توصلّ إلى أنّ:

_ هناك نسبة ضئيلة في المحل الموجود في أدنى السلم (طبقة دنيا).

_ ونسبة متوسطة في المحل المصنف في وسط السلم (طبقة متوسطة).

_ ونسبة عالية في المحل المصنف في أعلى السلم (طبقة عليا).

[1] هدسون، علم اللغة الاجتماعي، ص232-233.

سمحت النتائج السابقة للابوف بربط المتغير اللغوي (r) بالمكانة الاجتماعية للناطقين، حيث يعتبر نطق هذا الصوت علامة على المكانة الراقية التي ينتمي إليها المتكلم، بينما يشير غيابه إلى أن الشخص ينتمي إلى الطبقة الدنيا. هناك مجموعة من المتغيرات اللغوية المتعلقة بنطق صوت الراء، إذ يتم إنجازه تارة، وعدم تحقيقه تارة أخرى. ومجموعة من المتغيرات الاجتماعية المرتبطة بالطبقة الاجتماعية (طبقة راقية، طبقة متوسطة، طبقة منخفضة) تؤثر هذه الأخيرة (أي الطبقات الاجتماعية المتنوعة) في أداء الصوت من عدمه، فالطبقات الراقية والبرجوازية ذات مكانة مرموقة في المجتمع، وتتسم بالرقي، ممّا يجعل هذه الفئة تتبنى لغة فصيحة وراقية، مثل اللغة (الإنجليزية المعيارية) التي ينطق فيها صوت الراء، فالشخص الراقي لابد من أن يتكلم بلغة راقية ومفصلة، بينما أصحاب الطبقة المتدنية والفقيرة الذين لا يتسمون بالرقي ولا يتقنونه، لا يعيرون الاهتمام بهذه التفاصيل، ويتبنون لغة عامية، وبالتالي لا ينطقون هذا الصوت.

3_ اللغة الإنجليزية عند الزنوج السود:

انطلقت هذه الدراسة من الفكرة التي عالجها "بازل برنارد برنشتاين"(Basil Bernard Bernstein)، حيث بحث هذا الأخير في «تأثير الانتماء الاجتماعي والبنية الاجتماعية في البنية اللغوية المكتسبة عند التلاميذ»[1]، أي العلاقة بين لغة التلاميذ وانتمائهم الاجتماعي (طبقة ميسورة، طبقة فقيرة)، استعمل "برنشتاين" مصطلح "الرموز اللغوية"، وقسم هذه الرموز إلى «"رموز مقيدة" وهي لغة التلاميذ الذين ينتمون إلى الفئة الاجتماعية الفقيرة و"رموز مفصلة" هي لغة التلاميذ الذين ينتمون إلى الفئة الاجتماعية المتوسطة أو الغنية»[2]، حيث تشير الرموز المقيدة إلى اللغة الركيكة والخالية من أدوات الربط والانسجام، أما الرموز المفصلة فتشمل اللغة السليمة من ناحية التركيب

[1]_ نسيمة تلي، فتيحة طويل، التباين اللغوي واللامساواة الاجتماعية المدرسية قراءة تحليلية في مقاربة "الرموز اللغوية" لبازل برنشتاين، مجلة علوم الإنسان والمجتمع، المجلد 10، العدد 02، جوان 2021، ص200.

[2]_ المرجع نفسه، ص199.

والمعنى، ولتوضيح هذه الفروقات، قام "برنشتاين" بإخضاع «تلاميذ المستويين الاجتماعيين المختلفين لتجربة مثيرة للاهتمام، فقد طلب منهم التعليق على مجموعة الرسوم المتحركة الصامتة المعلقة (أطفال يلعبون الكرة، زجاج مكسور)»[1]، سمحت هذه التجربة بتسجيل مجموعة من الإنتاجات اللغوية لتلاميذ الفئة الفقيرة وتلاميذ الفئة الميسورة، حيث كان «جواب الفئة الأولى: "هم يلعبون بالكرة، قذف، تكسر الزجاج...". بينما كان جواب الفئة الثانية: "كان الأطفال يلعبون بالكرة، قذف واحد منهم الكرة، ومرت عبر النافذة وكسرت الزجاج..."»[2]، هذه النتائج إلى الفرق الواضح بين أسلوب التلاميذ الفقراء والأغنياء، المتمثل في الاختلاف في بنية اللغة التي تنتجها كلّ فئة من الفئتين السابقتين، حيث يلاحظ أن الفقراء يستخدمون جملا قصيرة وخالية من أدوات الربط، بينما كان تعبير التلاميذ الأغنياء سلسا ومنسجما، ويحمل فكرة معينة.

فسر "برنشتاين" المشكلة التي تواجه التلاميذ من حيث مفهوم «"العجز اللغوي (deficit) الذي يقبل أن يفسر بالعجز الاجتماعي، لاسيما العجز العائلي»[3]، بحيث أرجع برنشتاين التباين اللغوي بين تلاميذ الطبقة الميسورة والطبقة الفقيرة إلى العجز الذي يعانيه هؤلاء في بيئتهم الاجتماعية، مما أدى إلى صعوبة تعلّمهم وإنتاجهم للجمل المفيدة، وقد سمحت هذه المقاربة بالربط بين «التباين اللغوي للأفراد وبين انتماءاتهم الاجتماعية وتحديد الفروق اللغوية للتلاميذ الذين ينتمون لمختلف الفئات الاجتماعية»[4]،أي ربط الأشكال اللغوية المختلفة التي ينتجها التلاميذ بالطبقات الاجتماعية التي ينتمون إليها.

---

[1]_ نسيمة تلي، فتيحة طويل، التباين اللغوي واللامساواة الاجتماعية المدرسية قراءة تحليلية في مقاربة "الرموز اللغوية" لبازل برنشتاين، ص207.

[2]_ المرجع نفسه، الصفحة نفسها، (بتصرف).

[3]_ لويس جان كالفي، علم الاجتماع اللغوي، ص75.

[4]_ نسيمة تلي، فتيحة طويل، التباين اللغوي واللامساواة الاجتماعية المدرسية قراءة تحليلية في مقاربة "الرموز اللغوية" لبازل برنشتاين، ص204.

فالمتغيّر اللغوي في دراسة برنشتاين هو متغيّر نحوي تركيبي، باعتباره يتعلق بالجمل واللغة التي ينتجها التلاميذ، أما المتغير الاجتماعي فيتمثل في الوضع الاجتماعي الذي يختلف باختلاف الطبقات (الميسورة، المتوسطة، الفقيرة).

لقد بحث وليام "لابوف" في قضية مماثلة للقضية التي اهتمّ بها "برنشتاين"، حيث ركّز لابوف هذه المرة على اللهجة الإنجليزية الخاصة بالسود «التي تنطوي على قواعدها الخاصة وتتوفر على عدد هائل من الصيغ "غير الفصيحة non standard"، بحيث يتعذر عدها انزياحات عن المعيار écarts»[1]، فقد أدرك "لابوف" الخصائص التي تتميز بها اللهجة الإنجليزية لدى الشبان السود، وصعوبة تعلمهم للغة الفصحى، وانتهى إلى مجموعة من الاستنتاجات، حيث يقول «إن المسؤول الأول عن إخفاق تعلم القراءة هو الصراع الثقافي. إن المحيط والقيم المدرّسة لا تأثير لها على الفتيان المتجذرين في ثقافة الشوارع تجذرا عميقا. في مقابل ذلك فإن الفتيان الذين يوفّقون في التعلّم، فإن جلّهم من الشّبان الذين لا ينخرطون في هذه الثقافة، أو يُرفضون من قبل هذه الثقافة»[2]، فلهجة هؤلاء تختلف باختلاف ثقافتهم، كونهم يتأثرون بثقافة الشارع التي انعكست بدورها على كلامهم ولغتهم، باعتبار أن الشبان الذين لم ينخرطوا في هذه الشوارع، يسهل عليهم تعلم اللغة الفصحى.

لابد من الإشارة في هذا الصدد إلى أن "لابوف" لم يعتبر لغة هؤلاء الشبان (السود) ضحلة أو عاجزة، مثل ما توصل إليه "برنشتاين" في مفهومه ""للعجز اللغوي" ونظرته "للثقافة الشعبية الفقيرة نظرة دونية ودون المستوى»[3]، إذ اعتبر هذا الأخير لغة الفئات الفقيرة مقيدة ودون المستوى، بينما "لابوف" عارض أفكار "برنشتاين" كما ذكر العالم السوسيولساني "لويس جان كالفي، في قوله: «كان لابوف قد عقد العزم على معارضة برنشتاين وبخاصة بعض

[1] _ لويس جان كالفي، علم الاجتماع اللغوي، ص76.

[2] _ المرجع نفسه، الصفحة نفسها، نقله عن: William Labov, Le parler ordinaire, t, 1, op. Çit, p173.

[3] _ نسيمة تلي، فتيحة طويل، التباين اللغوي واللامساواة الاجتماعية المدرسية قراءة تحليلية في مقاربة "الرموز اللغوية" لبازل برنشتاين، ص212، نقلا عن: الأمين عدنان، اللاتجانس الاجتماعي سوسيولوجيا الفرص الدراسية في العالم العربي، شركة المطبوعات للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1993، ص26-27.

الكتاب الأمريكيين الذين اعتمدوا أفكاره بشكل عنصري، فإنه حاول أن يبين، رغم الأفكار الرائجة، أن لهجة الفتيان السود ليست أقل بناء أو بنينة أو أقل منطقا من لهجة الأعضاء المنتمين للطبقات الميسورة»[1]، ف"لابوف" لم ينظر إلى لغة الشبان السود من خلال مفهوم العجز اللغوي، إذ اعتبرت الدراسة التي قام بها محاولة لدحض «فرضية العجز التي شكلت السياسات التربوية في الولايات المتحدة الأمريكية في الستينيات من القرن العشرين»[2]، والتي ارتبطت بأعمال برنشتاين، وأشار «تحليل لابوف اللغوي للإنجليزية العامية عند الأمريكيين الأفارقة...أن هذه اللهجة معقدة بنيويا تحكمها القواعد النحوية مثلها مثل اللغة الإنجليزية الفصحى في أمريكا»[3]، أي أن لهجة الشبان السود تعتبر لغة قائمة بذاتها، تضبطها قواعد لغوية، رغم الاختلافات والتنوعات التي تعتريها.

إن دراسة اللهجة الإنجليزية عند الزنوج لا تشمل المتغيرات الصوتية، مثل الدراسة التي أنجزت على الناطقين بجزيرة "مارتاس فينيارد" والدراسة الثانية حول "التنضيد الاجتماعي للغة الإنجليزية في مدينة نيويورك"، بل حاول لابوف في دراسته الثالثة «دراسة نحو لغة جماعة بعينها بوصفها تتحدث بلهجتها الخاصة»[4]، أي البحث في التغيرات النحوية التي تخضع لها لهجة الشبان السود والتي تتصف «بعدد من الخصائص النحوية البارزة مثل انعدام الفعل الرابط (is) كما في (he beautiful) وعدم ظهور (s) للشخص الثالث المفرد الغائب كما في (she write) ...أو يحذف الصوتان /t/ و /d/ في نهاية الكلمة بعد صوت صامت مثل (firs' thing) أو (las' month)»[5]، يلاحظ أن لهجة السود، مختلفة عن الإنجليزية العامة المستخدمة في قارة أمريكا، حيث يقال في هذه الأخيرة: he is

[1]_ لويس جان كالفي، علم الاجتماع اللغوي، ص76.

[2]_ جون إي جوزيف وآخرون، أعلام الفكر اللغوي التقليد الغربي في القرن العشرين، ص233.

[3]_ المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[4]_ لويس جان كالفي، علم الاجتماع اللغوي، ص78.

[5]_ جون إي جوزيف وآخرون، أعلام الفكر اللغوي التقليد الغربي في القرن العشرين، ص231.

beautiful، حيث ينطق الضمير is، كما تضاف العلامة (s) للضمير الغائب المفرد (he ،she, it ,) مثلا: she looks, he looks, it looks.

اكتشف "لابوف" من خلال ملاحظته لثقافة الشباب السود وظروفهم الاجتماعية الصعبة، أن هؤلاء الشبان ينخرطون في ثقافة الشوارع نتيجة لتدني مستواهم المعيشي، وبالتالي تؤثر هذه الظروف على لغتهم وتجعلهم يتجاوزون القواعد النحوية الرسمية في الإنجليزية المعيارية، مما لهجتهم تتميّز عن الإنجليزية العامة.

أدّى تنوع الطبقات الاجتماعية بين السكان السود والبيض إلى تنوع اللغة المستخدمة، ويعزز هذا التنوع الاختلافات العرقية والثقافية التي تؤثر في الأداء النطقي للأصوات. على سبيل المثال، يتسم السود بالسرعة الزائدة في التحدث، مما قد يؤدي إلى عدم انجازهم الدقيق للكلمات وخروجهم عن القواعد المقررة في الإنجليزية الفصحى.

ركز لابوف في تحرياته على الجانب الصوتي أكثر من الجوانب اللغوية الأخرى، وركّز في دراسته للهجة الشبان السود بمدينة نيويورك على التركيب النحوي، ونظرًا لكون المشكلات التي يطرحها التحليل اللغوي لا يمكن حلها في إطار دراسة نحوية مفهومة بشكل ضيق، فقد أدى ويليام لابوف إلى توسيع مجال بحثه بشكل كبير، لأخذ اللغة المحددة للأمريكيين السود في الاعتبار، فلم يركز اهتمامه على اللغة فحسب، بل نظر في الثقافة والتنظيم الاجتماعي والوضع السياسي لشباب الأحياء التي يقطنها السود في مدينة نيويورك، ليصل إلى ربط العلاقة بين تلك الأوضاع الثقافية والسياسية والاجتماعية التي يحي فيها هؤلاء الشبان، ولهجتم التي تحمل خصوصيات نحوية لا تُفسّر إلاّ بتلك الأوضاع.

ووضّح من خلال تحرّياته الميدانية أن التنوعات اللغوية ترتبط بشكل مباشر بالتغيرات الاجتماعية، وأن البحث في هذه المتغيرات يقتضي استحضار كل ما يخص البيئة الاجتماعية التي تعرف هذه التغيرات، حيث يختلف

تقسيم الطبقات الاجتماعية من مجتمع لآخر، كما تختلف المعتقدات والثقافة والعادات والتقاليد...الخ، مما يستدعي إجراء أبحاث عن هذه المتغيرات الاجتماعية، بالتالي البحث في كيفية تأثير هذه الأخيرة في تغيّر اللغة.

وقد فتحت أعمال لابوف الآفاق للباحثين لدراسة التغيرات اللغوية السنكرونية التي تعتري اللغة البشرية باعتبارها ظاهرة متغيرة بتغير المجتمع الذي تستخدم فيه، وسيتم ذكر بعض النماذج التي اهتمت بهذا الموضوع واعتمدت طريقة لابوف في دراسة التغيرات اللغوية.

ثالثا/ نماذج من دراسات أخرى حول التغيّر اللغوي والمتغيّرات الاجتماعية:

لقد فتحت التحريات التي قام بها "لابوف" في مجال اللسانيات الاجتماعية ودراسته للمتغيرات اللغوية، الآفاق للباحثين السوسيولسانين للبحث في التغيرات التي تحدث للغة في فترة معينة، أي دراسة سنكرونية للتغير اللغوي، حيث كانت المسألة السابقة قبل تطوّر اللسانيات الاجتماعية تتمّ بالجري «وراء التنوعات الحادثة في اللغة عبر الزمن، ومحاولة رصد هذه التنوعات...والكشف عن ملابسات هذه التنوعات والظروف الحياتية التي ساعدت على وجودها»[1]، أي البحث في التغير اللغوي الذي يحدث في فترات زمنية مختلفة والذي يمكن اعتباره تطورا لغويا، أصبح الدارسون يبحثون في هذه التغيرات بربطها بالبنى الاجتماعية المختلفة كما لاحظنا عند "لابوف".

1_ ونموذج ترادجل وشامبرز حول التغيرات الصوتية والمتغيرات الاجتماعية:

هناك العديد من دراسات حول التغيرات الصوتية، باعتبار أن هذه الأخيرة تحدث بشكل كبير بالإضافة إلى التغيرات المعجمية، مقارنة بالتغيرات الصرفية والنحوية. ومن هذه الدراسات البحث الذي قام به "بيتر ترادجل" (Peter Tarudjill)، و"شامبرز" (Chambers)، المتمثلة في «نطق /h/ منفوث في that الإنجليزية

[1]_ كمال بشر، علم اللغة الاجتماعي، ص178، (بتصرف).

البريطانية»[1]، حيث تم توضيح العلاقة بين التنوع في نطق هذا الصوت، والطبقات الاجتماعية في برادفورد ونورويتش بإنجلترا. يوضح الجدول التالي النسب المئوية المنتخب عليها من هذه الدراسة [2].

	برادفورد	نورويتش
- الطبقة الوسطى الوسطى	12	6
- الطبقة الوسطى الدنيا	28	14
- الطبقة العاملة العليا	67	40
- الطبقة العاملة الوسطى	89	60
- الطبقة العاملة الدنيا	93	60

الجدول (2): النسب المئوية لحرف /h/ المنفوث في لهجة برادفورد ونورويتش التقليدي.

يوضح الجدول السابق، أن النسب المئوية لنطق الصوت /h/ المنفوث*، تتفاوت بتفاوت الطبقات الاجتماعية في كل من "برادفورد" و"نورويتش" ، إذ سجلت نسبا ضئيلة لدى الطبقة الوسطى الوسطى، المتمثلة في 12% بالنسبة لي"برادفورد" و6% في "نورويتش". بينما ارتفعت النسب المئوية المسجلة، عند الطبقة الوسطى الدنيا إلى 28% في

[1] _ فلوريان كولماس، دليل السوسيولسانيات، ص109.

[2] _ المرجع نفسه، ص110، نقله عن: Chambers and trudjill, dialectogy, and k. M. Petyt, The study of dialect: An introduction to dialectology (London: A. Deutch, 1980).

* نفث الصوت يشير إلى إخراج الهواء بشكل ملحوظ أثناء نطق حرف معين، وغالبًا ما يرتبط بالصوامت العطرية (aspirated consonants) في اللغات مثل الإنجليزية. الصوامت العطرية هي تلك التي يتم إصدارها بإخراج هواء من الرئتين بشكل قوي عندما يتم فتح الحلق، مما يسبب صوتًا هوائيًا أثناء نطقها. على سبيل المثال، الحرف "h" في الإنجليزية (كما في كلمة hat) يُنطق بنفخة هوائية نفثية، حيث يتم إخراج الهواء دون اهتزاز للأحبال الصوتية. لذا، فإنّ معنى "نفث صوت" في هذا السياق هو الإشارة إلى الإخراج الهوائي القوي للصوت أثناء نطق الصوت أو الصامت العطري.

"برادفورد" و14% في "نورويتش". أما بخصوص الطبقات العاملة (التي هي المتفاوتة) فسجلت نسب مئوية عالية لنطق الحرف /h/ منفوثا، حيث بلغت لدى العاملة الدنيا 93% في "برادفورد" و60% في "نورويتش".

انطلاقا من النتائج السابقة، يستنتج أن تنوع نطق الصوت/h/ يتعلق يتنوع وتغير الطبقة الاجتماعية، فالصوت /h/ المنفوث يتعلق بالفئة العاملة، باعتباره خاصية صوتية تمتاز بها الطبقة العاملة، ويتجلى ذلك في بلوغ نسبة تحقيقه 93% في "برادفورد"، عكس أولئك الذين ينتمون إلى الطبقة الوسطى فسجلت لديهم نسبا أضئل.

لدينا إذن مجموعة من المتغيرات الاجتماعية، المتمثلة في الطبقات الاجتماعية الخمس المختلفة تدريجيا (طبقة وسطى متوسطة، طبقة وسطى دنيا، طبقة عاملة عليا، طبقة عاملة متوسطة، وطبقة عاملة دنيا)، تتوزع هذه الأخيرة في مدينة "برادفورد" و"نورويتش". ولدينا مجموعة من المتغيرات اللغوية الصوتية، الخاصة بحرف /h/ في اللغة الإنجليزية البريطانية، بحيث تتمثل هذه المتغيرات في نطق هذا الصوت منفوثا أو عدمه.

وضّحت الدراسة التي قام بها "ترادجل" و"شامبرز"، العلاقة بين المتغيرات المذكورة سابقا، وذلك من خلال النتائج التي تحصلا عليها انطلاقا من تسجيلهما لكلام السكان في هذه المناطق، وملاحظتهما لكيفية نطقهم لهذا الصوت. إذ لاحظا تحقيق الصوت منفوثا في كلام الطبقة العاملة، مما يعني أن الأداء النطقي لهذه الصفة الصوتية يرتبط غالبا بهذه الفئة، بينما الفئات والطبقات الأخرى يقل فيها استعماله.

2- نموذج ترادجل حول المتغيرات النحوية والمتغيّرات الاجتماعية:

يحدث التغير أيضا على مستوى التركيب أي التغيّر النحوي، إذ يختلف تركيب الجمل والكلمات من لهجة إلى أخرى، لأنّ البنيات النحوية في اللغات الطبيعية تتعرّض للتغيّر والتنوّع، فقد يختلف التركيب النحوي لبعض تراكيب لغة معينة من لهجة إلى أخرى، ويرجع هذا الاختلاف إما لأبعاد جغرافية، فيستعمل في لهجة منطقة ما تركيبا معينا، بينما يُستعمل في لهجة منطقة أخرى تركيبا مختلفا نوعا ما، أو بسبب عوامل اجتماعية خاصة بالأفراد

المستعملين، وسيتمّ توضيح ذلك بدراسة قام بها اللساني الاجتماعي البريطاني "بيتر ترادجل"، حيث أولى هذا الأخير التغيرَ اللغوي وعلاقته بالطبقات الاجتماعية اهتماما كبيرا، فيذهب إلى أن «اللهجة المتجانسة (الصرفة) تعتبر مفهوما خرافيا. فكل لغة خاضعة للاختلافات الأسلوبية والاجتماعية لأن الجماعة البشرية مميزة وظيفيا ومتباينة بدرجات متفاوتة. وكل اللهجات خاضعة للتحول أيضا»[1]، حيث يقر "ترادجل" بعدم وجود لغة أو لهجة موحّدة ومتجانسة يستعملها جمع أفراد المجتمع بشكل واحد وبأسلوب نفسه، لكونها تتأثر بالعوامل الاجتماعية والجغرافية والتاريخية والمواقف التي تستدعي استعمال أسلوب معين دون آخر.

يقرّ "ترادجل" بأهمية التحريات التي قام "لابوف" كونها أحرزت تقدما ملحوظا في دراسة اللهجات، يقول في هذا الصدد: «إن الطرق التي طورها لابوف أبانت عن أهميتها في دراسة اللهجات والنبرات الطبقية الاجتماعية»[2]، فهو يعترف بأهمية دراسات لابوف الميدانية، ومدى إسهامها في الكشف عن اختلاف النبرات واللكنات باختلاف الطبقات الاجتماعية التي أدت بدورها إلى ظهور مجموعة من اللهجات الطبقية الاجتماعية (social-class dialects)[3]. ويؤكّد "ترادجل" بأنّه «إذا كان علينا أن نحصل على صورة صحيحة للعلاقة القائمة بين اللغة والتنضيد الاجتماعي لابد من توفر القدرة على قياس الظواهر الاجتماعية واللغوية معا حتى نستطيع الربط بين الإثنين على نحو دقيق»[4]، فدراسة التغير اللغوي وعلاقته بالمجتمع يقتضي -كما نص عليه "كالفي"- إجراء مقاربة سوسيولسانية تقوم على جميع المتغيرات اللغوية والمتغيرات الاجتماعية، وبالتالي البحث في العلاقات التي تربط بينها.

[1]_ بيتر ترادجل، السوسيولسانيات مدخل إلى دراسة اللغة في علاقتها بالمجتمع، تر: محمد كرم الدكالي، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، 2017، ص37.

[2]_ المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[3]_ المرجع نفسه، ص35.

[4]_ المرجع نفسه، ص41-42.

قدّم "ترادجل" في دراسته للمتغيرات اللغوية في مدينة "نوردج" بإنجلترا مجموعة من أمثلة حول التغيّرات الصرفية، من بينها: ظهور العلامة (s) في آخر الفعل وعدم ظهورها. أنجزت هذه الدراسة في مدينة "ديترويت" الأميركية ومدينة "نوردج" الإنجليزية، من المألوف أنه في الإنجليزية المعيارية يحمل الفعل مع ضمير الغائب للمفرد اللاحقة (s) فنقول: I look, you look, we look, They look أما مع ضمير المفرد الغائب فلا يقال: He/She look وإنما He/She looks.

ولكن في مدينة "ديترويت" كما ذكر "ترادجل" لا تستخدم هذه العلامة، فهم ينطقون مثلا: She like him very much. يقول "ترادجل" في هذا الصدد: «إن اللهجة المعيارية ترتبط عموما بالمجموعات الاجتماعية العليا على نحو جد وثيق فقد كان هناك شعور بإمكانية وجود علاقة مباشرة بين الطبقة الاجتماعية واستعمال اللاحقة المذكورة»[1]، أي أن هذا الأخير افترض وجود علاقة بين استعمال اللاحقة (s) واختلاف الطبقة الاجتماعية، وهذه الدراسة تشبه تلك التي قام بها "لابوف" والمتعلقة بنطق الصوت r في مدينة نيويورك، إذ اتبع "ترادجل" المنهجية نفسها في تحليله، ولتأكيد هذه الفرصة تم إجراء تسجيلات لناطقي "نوردج" و"ديترويت"، يوضح الجدول التالي النتائج المسجلة حسب "ترادجل"[2]:

[1]_ بيتر ترادجل، السوسيولسانيات مدخل إلى دراسة اللغة في علاقتها بالمجتمع، ص43.

[2]_ المرجع نفسه، ص43.

نوردج	ديترويت
الطبقة الوسطى المتوسطة 0%	الطبقة الوسطى 1%
الطبقة الوسطى الدنيا 2	الطبقة الوسطى الدنيا 10
الطبقة العاملة العليا 70	الطبقة العاملة العليا 57
الطبقة العاملة المتوسطة 87	الطبقة العاملة الدنيا 71
الطبقة العاملة 97	

الجدول(3): النسب المئوية للأفعال التي لا تحمل اللاحقة s– في نوردج وديترويت.

يُلاحظ من الجدول السابق أن النسب المئوية لعدم وجود اللاحقة (s) ترتفع كلما كانت الطبقة الاجتماعية أدنى في كل من "نوردج" و"ديترويت" ، إذ لم تسجل أي حالة في "نوردج" عند الطبقة الوسطى المتوسطة باعتبارها أعلى طبقة في السلم الاجتماعي المعتمد في هذه التجربة، بينما لوحظ وجود الميزة بكثرة لدى أصحاب الطبقة الأخيرة وهي الطبقة العاملة الدنيا، حيث بلغت نسبة عدم استخدام الناطقين للاحقة (s)97%؛ مما يدل على أن أغلب أصحاب هذه الطبقة لا يلحقون بالأفعال مع الضمير الغائب (he, she, it) العلامة (s) وهو الأمر نفسه تقريبا بالنسبة للنتائج المتحصل عليها في مدينة "ديترويت"، إذ سجلت نسبة عالية (71%) لدى الطبقة العاملة الدنيا، عكس الطبقة المتوسطة العليا التي بلغت النسبة 1% فقط.

تؤكّد الإحصائيات السابقة الفرضية التي طرحها "ترادجل"، إذ إن تواتر النسب المئوية مع الطبقة الاجتماعية المنتقاة يؤدي إلى وجود «علاقة واضحة بين الطبقة الاجتماعية واستعمال اللاحقة s–»[1]، بحيث تتناسب اللهجة المعيارية التي يحمل فيها الفعل مع الضمير الثالث المفرد اللاحقة (s) مع الطبقة العليا في المجتمع، باعتبار أن هؤلاء

[1]_ بيتر ترادجل، السوسيولسانيات مدخل إلى دراسة اللغة في علاقتها بالمجتمع، ص43.

يميلون إلى استخدام اللغة الرسمية والمفصلة، عكس الطبقات التي تكون في أسفل السلم الاجتماعي، فهي تتجاوز العديد من القواعد وتستعمل العبارات غير الفصيحة.

كما لاحظ "ترادجل" الفرق الكبير بين "الطبقة الوسطى الدنيا" و"الطبقة العاملة العليا"، كونهما تتمركزان بشكل مقارب في السلم الطبقي، بينما سجلت نسب متفاوتة للغاية، إذ بلغت النسبة لدى الطبقة الوسطى 2% بالنسبة لـ "نوردج" و10% بالنسبة لـ "ديترويت"، في حين سجلت نسبة 70% لدى الطبقة العاملة في "نوردج" و57% في "ديترويت"، قادت هذه النتائج "ترادجل" إلى فكرة «تقسيم المجتمع إلى مجموعتين طبقيتين رئيسيتين (الطبقة الوسطى) و(الطبقة العاملة) (وهو تقسيم قائم في معظمه على أساس التمييز الموجود بين المهن اليدوية والمهن غير اليدوية) فيه شيء من الصواب وينطوي على قدر معين من الأهمية بما أن الحاجز الاجتماعي ينعكس بوضوح على اللغة»[1]، يعني أن المهنة تؤدّي دورا في استعمال اللغة، بالإضافة إلى الطبقة الاجتماعية، إذ ورغم تقارب الطبقة الوسطى والطبقة العاملة في السلم الطبقي الاجتماعي، إلى أن الأولى تميل إلى استخدام اللغة الإنجليزية المعيارية أكثر بكثير من الثانية، ويرجع ذلك إلى مهنة الأشخاص الذين ينتمون إلى كل طبقة دون أخرى، فمن المؤلوف أن الطبقة العاملة تكون مهن أصحابها يدوية أو حرفية، مما يؤثر في استعمالهم للغة، إذ يتحدّث أغلبهم باللهجة المحلية.

لقد أكدت الدراسة التي قام بها "ترادجل" أن الطبقات الاجتماعية تؤثر بشكل كبير في لغة مستعمليها، ويمكن أن نستخلص مجموعة من المتغيرات الاجتماعية التي تناولتها هذه التجربة فيما يلي:

- يشير وجود اللاحقة (s) tي الطبقات الاجتماعية المختلفة أو عدم وجودها إلى انتماء الناطق لشريحة اجتماعية معينة.

[1] ـ بيتر ترادجل، السوسيولسانيات مدخل إلى دراسة اللغة في علاقتها بالمجتمع، ص44.

• غالبا ما يكون أصحاب المهن اليدوية أقل تحفظا في لغتهم أو في استعمالهم لبعض الكلمات، بينما يستعمل أصحاب المهن غير اليدوية اللغة بشكل متحفظ وراق أكثر.

• يمكن إدراج الأسلوب في المثال السابق، باعتبار أن اللهجة الإنجليزية المعيارية تمثل أسلوبا رسميا، فنجد أن أولئك الذين ينتمون للطبقات الوسطى يحبذون الأساليب الرسمية اللائقة بمكانتهم الاجتماعية، بينما لا يشكل الأسلوب عائقا لدى الطبقة العاملة فيستعملون اللهجة المحلية العادية.

3_ نموذج كالفي حول التغيرات المعجمية والمتغيرات الاجتماعية:

تعتبر الدراسة التي قام بها السوسيولساني "جون لويس كالفي" مهمة في اللسانيات الاجتماعية المتغيّرة، فتناول قضية التغيّر اللغوي متّبعا في ذلك منهج "لابوف"، إذ لاحظ "كالفي" تعدد الصيغ المستعملة في اللغة الفرنسية لمدلول "المرحاض" فيقال مثلا: « (les toilettes)، أو (les W.C)، أو (les petits coins)، فإن هذا القول يجلي بديهيا متغيرا»[1]، أي أنه يختلف استعمال هذه الصيغ من شخص لآخر مما يمكن إدراجه فيما يسمى بالمتغير اللغوي وبالتحديد المتغير المعجمي، باعتبار أن هذه الصيغ تدل على المدلول نفسه (أي المرحاض)، حاول "كالفي" البحث عن الأسباب التي أدت إلى تعدد هذه الصيغ، بحيث افترض أن توزع هذه الاستعمالات يقترن بسلم الأعمار «الشبان قد يقولون: (les petits coins) وأولياؤهم (les toilettes) وأجدادهم (les lieux) مثلا»[2]، إذ صنّف "كالفي" توزيع الصيغ على هذا الشكل باعتبار أن لغة الشباب تختلف عن لغة والديهم، كما اقترنت صيغة les(les lieux) بالأجداد، كون أن لغة هؤلاء تكون أكثر تحفظا مقارنة بلغة الشبان والصغار، إذ نجدهم يتحفظون من الكلمات التي تشكل نوعا من الإحراج...وهلم جرا، حيث إنّ صيغة (les lieux) هي استعمال مجازي،

[1] _ لويس جان كالفي، علم الاجتماع اللغوي، ص79.
[2] _ المرجع نفسه، ص79.

يستخدمها كبار مراعيا للسياق والمقام، وأنّ مقبولية هذه اللفظة تتفاوت من سياق لآخر، من بيئة إلى أخرى، ومن سنّ لآخر. ففي المجتمع الجزائري مثلا، فإن تلفّظ بها طفل صغير أمام جمع من الناس مجتمعين في مقام معيّن، فإنّ اللفظة تتلقى مقبولية تامة من قبل الجميع، لكن لو يتلفظ بها رجل أو امرأة، راشد أو عجوز في السياق نفسه، فإنّ الجميع ينظر إليه نظرة استغراب واشمئزاز، وسيعتبرون ذلك اختراقا للمعايير الاجتماعية –الاخلاقية المتفق عليها، ويمكن أن يُدرج ذلك ضمن ما يسمى الحظر في الكلام، لسبب اجتماعي، أو ديني، أو سياسي، أو أخلاقي...الخ، ويرتبط ذلك أيضا بسياق الكلام، فإن تلفّظت بها امرأة أمام صديقاتها، فإنّ الأمر يبدو عاديا جدا، لكن لو تتلفظ بها أمام نساء أجنبيات أو أمام رجال...الخ، فإنّ الأمر يبدو خادشا للحياء. وتجنّبا لذلك، يلجأ المتكلمون في الثقافة العربية مثلا إلى التلميح بألفاظ أخرى تجنبا للألفاظ اللامساس، وهذا معمول به حتى في الثقافات الأخرى، وهذا ما يلمح إليه جان لويس كالفي في اللغة الفرنسية، حيث يستخدم الكبار أو النساء لفظة ((les petits coins) أو ((les lieux)) أو (les chiottes) التي يمكن إطلاقها على أي مكان آخر غير (المرحاض)، وتُستعمل في هذا السياق كناية عن لفظتي (toilettes) أو (W.C) عكس لفظة (toilettes) فهي خاصة به.

كما افترض (كالفي) أن يكون السبب في اختلاف الصيغ راجع إلى جنس الشخص أو الطبقة الاجتماعية، فالرجال «قد يقولون (les chiottes) و (W.C)، والنساء: (toilettes) و(petits coins)، كما قد نتصور بأنها تتوزع حسب السلم الاجتماعي، حيث إن الطبقات الميسورة تستخدم بالأحرى toilettes والطبقات المحرومة petits coins الخ»[1]، فقد حدّد "كالفي" مجموعة من المتغيرات الاجتماعية المتمثلة في (العمر، الجنس، الطبقة الاجتماعية)، في مقابل المتغير اللغوي (تعدد الصيغ المستعملة للدلالة على كلمة المرحاض) حيث لا يمكن لهذا الاختلاف، حسب كالفي، أن يكون مقترنا بوظيفة لغوية أي بنية اللغة الداخلية، وإنما يشير استعمال شخص ما

[1]_ لويس جان كالفي، علم الاجتماع اللغوي، ص79.

لصيغة من هذه الصيغ دون أخرى إلى أنه «ينتمي إلى هذه الشريحة الاجتماعية أو تلك (امرأة، فتى، طبقة ميسورة الخ)»[1] ، إذ إن استعمال صيغة معينة من هذه الصيغ يعكس نظرة معينة عن الشخص المتكلم. ويتم هذا عن طريق إجراء جملة من التقاطعات بين هذه التوزيعات المختلفة للمتغير اللغوي والتغيرات الاجتماعية المتعلقة بها: فمثلا في هذه التجربة يشكل استعمال صيغة toilettes تقاطعا منتظما مع الشرائح الاجتماعية التالية: شخص بالغ، امرأة، طبقة ميسورة... وهلم جرا. بينما تتقاطع الصيغة les petits coins مثلا مع: شاب، امرأة طبقة محرومة، وهو الأمر بالنسبة للصيغ الأخرى، وبالتالي يتم إحصاء هذه التقاطعات والحصول على نسب مئوية متعلقة بكل شريحة من الشرائح السابقة، فيقترن استعمال هذه الصيغ بكل شريحة دون أخرى.

وبخصوص المثال السابق، نجد في اللغة العربية تنوعا زاخرا على مستوى بنيتها واستعمالاتها، إذ يستخدم المثال الذي تناوله كالفي (المرحاض) بطرق مختلفة وصيغ متعددة، فالصغار، مثلا، يقولون: (مرحاض)، أما كبار السن يستعملون صيغة (بيت الراحة) أو (بيت الماء) كتعبير مجازي. كما نجد صيغا أخرى تدل على (المرحاض) مثل: (الحمّام) كناية عن المرحاض، وهناك من يستخدم صيغة (دورة المياه)، تستعمل هذه الصيغة في مواقف معيّنة، مثلا: في القسم عندما يرغب أحد التلاميذ في الذهاب إلى (المرحاض) فإنه يستخدم صيغة (دورة المياه) ولا يقول (أذهب إلى المرحاض) وهي صيغة يقبح ذكره أما المعلّم والزملاء في سياق تربوي، والمشكلة ليست في الكلمة في حد ذاتها، بل لارتباطها بالمكان الذي يقضي فيه الفرد حاجاته، فيستقذر الناس ذكر المكان بشكل صريح ويستحون من ذلك، وبالتالي، فإنّ الألفاظ مثل (الحمام، دورة المياه، بيت الراحة) في المجتمع الإسلامي، حين تُستعمل للدلالة عن (المرحاض) تُعتبر متغيّرات معجمية، تعكس متغيرا اجتماعيا، وهو **السنّ**، في سياقات ومقامات معيّنة التي تمنع

[1]- لويس جان كالفي، علم الاجتماع اللغوي، ص79

الكبار من استعمال لفظة (مرحاض) فقط في سياقات محدّدة، لأسباب أخلاقية –—اجتماعية – دينية، باستثناء أطفال الصغار.

إن تعدّد الصيغ التي ذكرها كالفي لا تتعلق باللغة نفسها، وإنما «تضطلع بوظيفة أخرى، هي الوظيفة الأسلوبية والاجتماعية»[1]، فإن كل صيغة من هذه الصيغ ترتبط إما بوظيفة اجتماعية كسن الشخص مثلا كما في صيغة (مرحاض) و(بيت الراحة) أو بوظيفة أسلوبية تتعلق بالأسلوب الرسمي أو العادي أو الحميمي، كأن يستعمل صيغة (دورة المياه) في المواقف الرسمية، بينما نستعمل (مرحاض) مع الأصدقاء أو العائلة...الخ.

رابعا/ نماذج من بعض الدراسات العربية حول التغيرات اللغوية والتغيرات الاجتماعية:

تعتبر اللغة العربية مثالا حيا على التنوع اللغوي، ويظهر هذا من خلال اللهجات المتعددة التي تختص كل واحدة منها بمجتمع من المجتمعات العربية، فنجد (اللهجة الجزائرية، اللهجة العراقية، اللهجة السورية، اللهجة المصرية...الخ)، وكل لهجة من هذه اللهجات تتفرع بدورها إلى مجموعة من اللهجات الدنيا، فاللهجة الجزائرية مثلا: نجد فيها (اللهجة الوهرانية وهي خاصة بمنطقة وهران، اللهجة السطايفية الخاصة بمنطقة سطيف، اللهجة البجاوية في بجاية، اللهجة الساحلية في كل من خراطة وسوق الإثنين وتيشي... وما إلى ذلك). ورغم اختلاف اللهجات في العالم العربي، فإنّ ذلك لا يشكل عائقا في عملية التواصل، إذ إن معيار الفهم حاضر، فالمصري يفهم الجزائري والعكس صحيح.

وقد ظهرت الجهود العربية التي بذلها الدارسون العرب في مجال اللسانيات الاجتماعية العربية، بعد «ظهور اللسانيات الاجتماعية في الستينيات على يد "لابوف" كعلم مستقّل بذاته قائم على موضوع محدّد ومنهج صريح»[2]، إذ بعد ظهور الأبحاث والدراسات التي قام بها "لابوف" المتعلقة بالمتغير اللغوي وعلاقته بالتغيرات الاجتماعية، لجأ

[1]_ لويس جان كالفي، علم الاجتماع اللغوي، ص79.

[2]_ ناصر عبد الله بن غالي، اتجاهات البحث في اللسانيات الاجتماعية العربية، مجلة الدراسات العربية، كلية دار العلوم، جامعة المنيا، المجلد 37، العدد 2، جوان 2018، ص1116.

الدارسون العرب إلى دراسة التغير اللغوي في اللغة العربية من منظور اللسانيات الاجتماعية التغيرية التي أسسها "لابوف"، وهي دراسات قام بها الباحثون الجامعيون، مثل دراسة الباحثة المصرية "ريم بسيوني" في إطار التغير اللهجي في مصر. إذ خصصت هذه الأخيرة جزءا لدراسة اللهجات في مصر، في كتابها "علم اللغة الاجتماعي في الوطن العربي (محاور ونظريات)".

تناولت "بسيوني" في هذا السياق أمثلة عن اللهجات الصعيدية، وذلك من خلال تحليلها لحوارات «الممثلين والذين يمثلون أدوارا صعيدية وكيفية إتقانهم للهجات، وأيضا حللت حوارات مع مدربي اللهجات ونظرتهم للهجات الصعيدية»[1]، إذ اقتصرت هذه الدراسة على البحث الميداني ، فبالكيفية التي كان "لابوف" يجري أبحاثه الميدانية.

توصلت الباحثة إلى رصد بعض «الاختلافات بين لهجات الصعيد ولهجات القاهرة، وهذه الاختلافات تركيبية وصوتية ودلالية»[2]، ويمكن تلخيص أهما فيما يلي[3]:

- يقال في اللهجة الصعيدية: we:n, me:ta, ke:f بينما في لهجات القاهرة يقولون: imta?, fe:n, izza:y. حيث يوجد اختلاف معجمي في الكلمات (ke:f و izza:y)، إذ تدل هاتان الصيغتان على نفس المدلول (أين). بينما يُلاحظ وجود اختلاف صرفي بين (me:ta و imta)، إذ هناك قلب بين الحروف (m, t, a). أما في (we:n, fe:n)، فالاختلافات هنا يكون في مستوى الأصوات إذ تم تغيير الواو بصوت الفاء.

ترى "بسيوني" أن الاختلاف في هذه اللهجات يرتبط بنمط «معين من الرجال والنساء في الصعيد، مما يؤكد الصورة السلبية لأهالي الصعيد في المسلسلات والأفلام والإعلام بصفة عامة. فأصبح هناك ارتباط شرطي بين

[1]_ ريم بسيوني، علم اللغة الاجتماعي في الوطن العربي (محاور ونظريات)، ص36.
[2]_ المرجع نفسه، ص37، (بتصرف).
[3]_ ينظر: المرجع نفسه، الصفحة نفسها

اللهجة والصفات السلبية»[1]، إذ تعرفت "بسيوني" على آراء الممثلين ومدربي اللهجة الصعيدية على الصفات السلبية التي تتسم بها اللهجة الصعيدية وصعوبتها، في هذا الصدد نقلت "بسيوني" مواقف بعض المدربين عن هذه اللهجة، فبعضهم ذهب إلى أن هناك حجم من السلبيات المرتبطة «باستعمال اللهجات الصعيدية خارج نطاق الصعيد»[2]. باعتبار أن استعمال لغة ما خارج المنطقة المتداولة فيها، يؤدي إلى ظهور الصفات السلبية على هذه اللغة، مثلا عدم التمكن من استعمالها، أو الخطأ في فهم دلالات الكلمات ...وما إلى ذلك. فاللهجة واللغة عامة ترتبط بالمكان الجغرافي ومدى معرفة الشخص بهذه اللغة.

وهناك دراسة أخرى أجراها الباحثان "عبد القادر علي زروقي" و"حسام الدين تاوريرث" عن "التباين اللغوي وتجلياته في مدينة ورقلة –دراسة سوسيولسانية–"، حيث تروم هذه الدراسة اكتشاف الظواهر اللغوية الموجودة في منطقة ورقلة (الجزائر). بدأ الباحثان هذه الدراسة بالبحث عن الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية لهذه المنطقة، إذ تَعرف منطقة "ورقلة" «تركيبا اجتماعيا متنوعا شديدا في الأصول والأعراق جمعت بين الأمازيغ والعرب ، وشرائح اجتماعية أخرى مثل بني مزاب الذين يعتنقون المذهب الإباضي، ويمارسون نشاطهم التجاري ويحظون باحترام الأهالي، واليهود...والآباء البيض الذين يزاولون طقوسهم الدينية إلى يومنا هذا في غمرة التّنوّع والتعدد الذي تعرفه منطقة ورقلة»[3]، ممّا يدل على أن منطقة ورقلة تزخر بتنوع عرقي، وديني وثقافي لأسباب عديدة، أهمها «ما تمتلكه المنطقة من مقومات اقتصادية، هذا ما أسهم في وجود ثقافات متباينة في المجتمع الورقلي، متمثلة بالخصوص في العادات والتقاليد (طقوس، حفلات الزواج، الاعتقاد بالأولياء، النظرة إلى المرأة). ومما لا شك فيه أن لهذا التنوع

[1] _ المرجع نفسه، ص38.

[2] _ ريم بسيوني، علم اللغة الاجتماعي في الوطن العربي (محاور ونظريات)، ص38.

[3] _ عبد القادر علي زروقي، حسام الدين تاوريرث، التباين اللغوي وتجلياته في مدينة ورقلة –دراسة سوسيولسانية–، مجلة اللسانيات التطبيقية، جامعة الجزائر، المجلد 5، العدد 9، 2021، ص317-318، (بتصرف).

علاقة بالأداءات اللسانية السائدة في المنطقة»[1]، فاختلاف الثقافات في ورقلة أدى إلى اختلاف الاستعمالات اللغوية.

زمن أجل دراسات المتغيرات اللغوية في لهجة ورقلة، تمّ اختيار «الجماعات اللسانية التي تشكل البنية الأساسية للمجتمع الورقلي، من خلال انتقاء عدد من العينات الممثلة لهذا المجتمع. وقياس التباين في الأداء اللهجي لنقوم بتعميمه على الأقاليم التي تنسب إليها»[2].

توصل الباحثان من خلال هذه الدراسة إلى مجموعة من التباينات المعجمية يمكن تلخيصها بعضها فيما يلي: [3]

_التباين المعجمي في مدينة ورقلة:

1_ دلو: تستعمل كلمة (دلو) بصيغ مختلفة، مثلا: يقال في منطقة (القصر، عين البيضاء، المخادمة): (بيدون). بينما في (الرويسات) يقولون: (مَرجَن)، وفي (نقوسة): (بدون)، أما في (سيدي خويلد) فيستعملون صيغة: (سْطَل).

2_ عصفور: هناك اختلاف وتنوع واضح في استعمال هذه الكلمة في هذه الأقاليم، حيث يقول سكان (القصر): (عصفور)، بينما في (عين البيضاء) تستعمل الصيغة: (طير)، وفي (المخادمة): (وعل)، أما في (الرويسات) فيقولون: (زاوش)، وفي (نقوسة): (وْعَيْل)، أما (سيدي خويلد) فيعرف عندهم بـ: (فلوس).

3_ الجدة: تستعمل هذه الكلمة بطرق مختلفة وهي كالآتي:

(القصر): (لالا).

(عين البيضاء): (ماما).

---

[1] _ عبد القادر علي زروقي، حسام الدين تاوريرث، التباين اللغوي وتجلياته في مدينة ورقلة –دراسة سوسيولسانية–، ص321–322.

[2] _ المرجع نفسه، ص224.

[3] _ينظر: المرجع نفسه، ص225–228.

(المخادمة): (حناتي).

(الرويسات): (دادَ).

(نقوسة): (حنة).

(سيدي خويلد): (حناتي).

قدّم الباحثان في دراستهما أمثلة كثيرة تخصّ الأقاليم المختلفة لمدينة ورقلة، وتوصلا من خلال ذلك إلى أنّ التغيّر أو التباين اللغوي يعود إلى عدد من المتغيرات، أهمها[1]:

1_ المتغير الأول: هو الاختلاف الزماني الذي يرتبط بظهور صيّغ جديدة لمدلولات اللغة عبر أزمنة وعصور مختلفة، ولم نتطرّق للتغيّر الدياكروني في هذا البحث، لأنّه يندرج ضمن مباحث فقه اللغة، لذلك لم يهتم به لابوف.

2_ المتغير الثاني: هو التنوع الإقليمي، أي تغيّرات لغوية ناتجة عن تغيرات واختلافات جغرافية، إذ إن لكل إقليم لهجة معينة تختلف عن لهجة إقليم آخر.

3_ المتغير الثالث: يتمثل في التنوعات الاجتماعية، يتعلق بالفئات الموجودة في المجتمع، وتوزيع الشرائح والطبقات الاجتماعية في المجتمع.

وقد ركّز الباحثان على العلاقة بين التنوعات المعجمية والمتغيرات الإقليمية والاجتماعية، فاختلاف الأقاليم في مدينة ورقلة يؤدي بدوره إلى اختلاف في طريقة النطق، واختيار الكلمات والمفردات من منطقة إلى أخرى، بالإضافة إلى وجود تنوعات عرقية ودينية التي يمكن دمجها في المتغيرات الاجتماعية، فالمسلمون يستعملون لغة مختلفة عن لغة اليهود والمسيحيين... الخ.

[1] _ ينظر: عبد القادر علي زروقي، حسام الدين تاوريرث، التباين اللغوي وتجلياته في مدينة ورقلة -دراسة سوسيولسانية-، ص333-

خلاصة: اتّضح من خلال الدراسات الميدانية التي قام بها السوسيولساني "ويليام لابوف"، والتي تتعلق بالتغيرات اللغوية وعلاقتها بالتغيرات الاجتماعية في ظل اللسانيات الاجتماعية كيف أن المتغيرات الاجتماعية (طبقة، ومهنة، وجنس، وسن...الخ) قادرة على التأثير في البنية اللغوية (الصوتية، الصرفية، النحوية، الدلالية، والمعجمية).

هذه الظاهرة لا ترتبط بلغة معيّنة، بل تشكّل قاعدة تسير عليها جميع اللغة الطبيعية نظرا لكون هذه الأخيرة مرآة تعكس سلوكات أفراد المجتمع الذي يستخدم لغة من اللغات، ومعتقداتهم وثقافاتهم وعاداتهم وسلوكاتهم، وبما أنّ هذه العوامل في تغيّر مستمر، فإنّ اللغة التي يستخدمها هؤلاء الأفراد تعكس هذا التغيّر، ذلك يؤدي إلى تعدّد اللهجات الاجتماعية في المجتمع الواحد، كذلك تتباين اللغة بسبب البعد الجغرافي بين الأقاليم المختلفة للبلد الواحد، حيث يؤدي التباعد بين الأقاليم إلى اختلافات في بنية اللغة المستخدمة في كلّ إقليم عن الأقاليم الأخرى، ممّا يؤدي إلى تنوّع اللهجات في البلد الوطن الواحد.

خاتمة

سعى هذا البحث إلى تسليط الضوء على قضية مهمة من قضايا اللسانيات الاجتماعية، ألا وهي التغير اللغوي وعلاقته بالتغيرات الاجتماعية في ضوء اللسانيات الاجتماعية التغيرية التي أسسها "ويليام لابوف" من خلال التحريات الميدانية المختلفة التي يروم من خلالها تفسير التغيرات اللغوية بربطها بالمتغيرات الاجتماعية والجغرافية. ومن النتائج التي تمّ الوصول إليها، ما يلي:

– أنّ التّغير اللغوي ظاهرة لا تخلو منها أيّ لغة من اللغات البشرية، حيث إنّ اللهجات المتعدّدة التي تزخر بها اللغات الطبيعية، ما هي إلاّ نتيجة التغيّرات التي تطرأ على اللغة الأم لأسباب مختلفة، لخّصها اللسانيون الاجتماعيون في سببين رئيسيين، وهما العوامل الاجتماعية والعوامل الجغرافية، كما صُنّفت اللهجات تبعا لهذه العوامل إلى اللهجات الاجتماعية واللهجات الجغرافية.

– لقد ردّ لابوف الاعتبار للغة في سياقها الاجتماعي، ولوظائفها الاجتماعية، وانحرف عن تقاليد البنوية التي تنجز دراساتها بمعزل عن الواقع، في حين نزل لابوف إلى الميدان، وشافه الناس وسجّل كلامهم، وحلّله باعتماد منهج علمي دقيق، وتوصّل إلى أنّ التغير اللغوي إنما يحصل نتيجة للتغيرات الاجتماعية والجغرافية.

_ ازداد اهتمام الباحثين بقضية التغير اللغوي، انطلاقا من الجهود التي بذلها "لابوف"، إذ ارتبطت أبحاثه بالعمل الميداني، الذي يساعد للحصول على نتائج دقيقة وقائمة على المنهج الكمّي، مما سمح بحصر أكبر عدد من العيّنات المستخدمة، وتعميمها بعد ذلك. إذ فتحت هذه الدراسات المجال للباحثين في دراسة اللغات المختلفة والبحث في أسباب تنوعها وتغيرها.

_ تُعدّ اللغة العربية مثالا حيا على التغير اللغوي، كونها اتسعت رقعة استعمالها، فنجد العربية في المشرق، والعربية في المغرب، وتتنوع هذه الأخيرة تبعا للظروف البيئية والمناخية، واختلاف الأقاليم، كما أنّ العالم العربي عالم متنوّع من حيث الثقافات والعادات والتقاليد والمعتقدات الدينية والإيديولوجيات...الخ، وكلّ هذه العوامل تؤثّر

بأشكال مختلفة في بنية اللغة المستعملة في الحيّز الجغرافي الواحد ممّا يلوّنها بألوان مختلفة، وعليه، فإنّ العالم العربي يستعمل اللغة العربية استعمالا متنوعا ومتغيرا، ويكون هذا التغير إما على المستوى الصوتي، أو الصرفي، أو النحوي، أو الدلالي، أو المعجمي. ناهيك عن التغيرات التي نجدها في اللهجة المستعملة في منطقة واحدة.

– على الرغم من استحالة حصر كل التغيرات اللغوية، نظرا للتداخل الموجود بينها وبين التغيرات الاجتماعية المختلفة، إلاّ أن اتباع المنهج الكمّي ساعد على حصر أكبر عدد ممكن من هذه التغيرات اللغوية من جهة، والتغيرات الاجتماعية من جهة أخرى، وبالتالي، إجراء مجموعة من التقاطعات التي تسمح بربط كل متغير لغوي بالمتغير الاجتماعي المرتبط به.

قائمة المصادر والمراجع

1_ القرآن الكريم، برواية حفص.

2_ الكتب العربية:

- إبراهيم أنيس، في اللهجات العربية، مكتبة الأنجلو المصرية، ط1، القاهرة، مصر، 2002.

- ابن جني، الخصائص، ج1، دار الكتب المصرية، مصر، 1952.

- حسن كراز، اللسانيات الاجتماعية في الدراسات العربية الحديثة التلقي والتمثلات، دار الرافدين، ط1، بيروت، لبنان، 2018.

_ رمضان عبد التواب، فصول في فقه اللغة العربية، مكتبة الخانجى للطباعة والنشر والتوزيع، ط6، القاهرة، مصر، 1999.

_ ريم بسيوني، علم اللغة الاجتماعي في الوطن العربي (محاور ونظريات)، دار وجوه للنشر والتوزيع، ط1، المملكة العربية السعودية، الرياض، 2018.

_ صبري إبراهيم السيد، علم اللغة الاجتماعي مفهومه وقضاياه، دار المعرفة الجامعية، دط، جامعة عين الشمس، الإسكندرية، 1995.

_ صلاح فضل، نظرية البنائية في النقد الأدبي، دار الشروق، ط1، القاهرة، مصر، 1998.

_ علي عبد الواحد وافي، اللغة والمجتمع، شركة مكتبات عكاظ للنشر والتوزيع، ط4، السعودية، 1983.

_ علي عبد الواحد وافي، علم اللغة، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، ط9، القاهرة، مصر، 2004.

_ كمال بشر، علم اللغة الاجتماعي، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، ط3، القاهرة، مصر، 1997.

_ محمد علي الخولي، مدخل إلى علم اللغة، دار الفلاح للنشر والتوزيع، الأردن، 2000.

_ محمد محمد داود، العربية وعلم اللغة الحديث، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، دط، القاهرة، مصر، 2001.

_ محمود السعران، علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، ط1، بيروت. لبنان، 1980.

- محمود السعران، اللغة والمجتمع رأي ومنهج، دار المعارف، ط2، الإسكندرية، مصر، 1963.

_ نايف خرما، أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة، دار المعرفة، ط2، الكويت، 1978.

3_ الكتب المترجمة:

_ أوزوالد ديكرو وجان ماري سشايفر، القاموس الموسوعي الجديد لعلوم اللسان، تر: منذر عياشي، المركز الثقافي العربي، طبعة منقحة، بيروت، لبنان، 2007.

_ برنار صبولسكي، علم الاجتماع اللغوي، تر: سنقادي عبد القادر، ديوان المطبوعات الجامعية، دط، الجزائر، 2010.

_ بيار آشار، سوسيولوجيا اللغة، تع: عبد الوهاب تزو، دار منشورات عويدات، ط1، بيروت، لبنان، 1996.

- بيتر ترادجل، السوسيولسانيات مدخل إلى دراسة اللغة في علاقتها بالمجتمع، تر: محمد كرم الدكالي، أفريقيا الشرق، ط1 الدار البيضاء، المغرب، 2017.

_ جون إي جوزيف وآخرون، أعلام الفكر اللغوي التقليد الغربي في القرن العشرين، ج2، تر: أحمد شاكر الكلابي، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط1، بيروت، لبنان، 2006.

_ جون سوان وآخرون، معجم اللغويات الاجتماعية، تر: فواز محمد الراشد ، عبد الرحمن حسني أحمد، مركز الملك عبد الله بن عبد العزيز الدولي لخدمة اللغة العربية، ط1، الرياض، المملكة العربية السعودية، 2019.

- جولييت غرمادي، اللسانة الاجتماعية، تع: خليل أحمد خليل، دار الطبعة للطباعة والمشر، ط1، بيروت، لبنان، 1990.

_ فلوريان كولماس، دليل السوسيولسانيات، تر: خالد الأشهب، ماجدولين النهيبي، مر: ميشال زكريا، المنظمة العربية للترجمة، ط1، بيروت، لبنان، 2009.

_ فيرديناند دي سوسير، محاضرات في علم اللسان العام، تر: عبد القادر قنيني، مر: أحمد حبيبي، إفريقيا الشرق، ط1، الدار البيضاء، المغرب، 1987.

_ لويس جان كالفي، علم الاجتماع اللغوي، تر: محمد يحياتن، دار القصبة للنشر، دط، الجزائر، 2006.

_ هدسون، علم اللغة الاجتماعي، تر: محمود عياد، مر: نصر حامد أبو زيد، محمد أكرم سعد الدين، عالم الكتب، ط2، القاهرة، مصر، 1990.

4_ المجلات:

_ عبد القادر علي زروقي، الجماعات اللسانية من منظور علم اللغة الاجتماعي دراسة في المفهوم وآلية البحث، مجلة الباحث في العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة قاصدي مرباح ورقلة، الجزائر، العدد 35، سبتمبر 2021.

_ عبد القادر علي زروقي، حسام الدين تاوريرث، التباين اللغوي وتجلياته في مدينة ورقلة –دراسة سوسيولسانية–، مجلة اللسانيات التطبيقية، جامعة الجزائر، المجلد 5، العدد 9، 2021.

_ عز الدين صحراوي، اللغة بين اللسانيات واللسانيات الاجتماعية، مجلة العلوم الانسانية، قسم اللغة وآدابها، كلية الآداب والعلوم الاجتماعية، جامعة بسكرة، الجزائر، المجلّد3، العدد 5، فيفري 2004.

_ فطيمة خلاف، اللسانيات الاجتماعية دراسة في المفهوم والقضايا، مجلة نوميروس الأكاديمية، المركز الجامعي مغنية، الجزائر، مجلد2، عدد1، 2021/01/01.

_ محمد زيان، إسهامات أنطوان مييه ووليام لابوف في علم الاجتماع اللغوي، مجلة دراسات وأبحاث، المجلد 10، العدد 4، ديسمبر 2018.

_ ناصر عبد الله بن غالي، اتجاهات البحث في اللسانيات الاجتماعية العربية، مجلة الدراسات العربية، كلية دار العلوم، جامعة المنيا، المجلد 37، العدد 2، جوان 2018.

– نسيمة تلي، فتيحة طويل، التباين اللغوي واللامساواة الاجتماعية المدرسية: قراءة تحليلية في مقاربة "الرموز اللغوية" لبازل برنشتاين، مجلة علوم الإنسان والمجتمع، جامعة بسكرة، المجلد 10، العدد 02، جوان 2021.

_ هيبة خياري، الخصائص الأسلوبية في اللهجات الاجتماعية... قراءة في الخطابات السرية، مجلة دراسات وأبحاث المجلة العربية في العلوم الإنسانية والاجتماعية، مجلد11، ع1، تصدرها جامعة زيان عاشور، الجلفة، 2019.

– المراجع الإلكترونية:

- The platform designed to make learning easy, Labov – New York department store study, https://www.studysmarter.co.uk/explanations/english/language-and-social-groups.

فهرس الموضوعات

مقدمة---------- أ

الفصل الأول: اللسانيات الاجتماعية والتغير اللغوي ---------- 6

المبحث الأول: اللسانيات الاجتماعية وقضاياها الأساسية ---------- 7

1- تعريف اللسانيات الاجتماعية---------- 7

2- علاقة اللسانيات الاجتماعية باللسانيات العامة ---------- 9

2-1 تعريف اللسانيات البنوية---------- 10

2-2 علاقة اللسانيات الاجتماعية باللسانيات البنوية ---------- 12

3- أهم قضايا اللسانيات الاجتماعية---------- 14

المبحث الثاني: التغير اللغوي مفهومه، وعوامله---------- 21

1_ مفهوم الجماعة اللغوية---------- 21

2- التغير والتنوع اللغوي---------- 23

2-1- مفهوم التغير اللغوي---------- 23

2-2- التعريف ببعض المصطلحات المرتبطة بمصطلح التغير اللغوي ---------- 228

3- أنواع التغير اللغوي---------- 29

3-1- التغير الصوتي ---------- 29

3-2- التغير الصرفي ---------- 30

3-3- التغير النحوي---------- 31

3-4- التغير الدلالي ---------- 32

3-5- التغير المعجمي ---------- 32

4- عوامل التغير اللغوي ---------- 33

4-1- مظاهر التغير اللغوي في اللغة العربية ---------- 34

4-1-1- اللغة العربية ولهجاتها ---------- 34

4-1-2- بين اللغة واللهجة---------- 40

4-2- أثر العوامل الجغرافية في التغير اللغوي---------- 42
4 -2-1- مفهوم العوامل الجغرافية ---------- 42
4-2-2- مفهوم التغير الجغرافي وتأثيره في التغير اللغوي---------- 43
4-2-3- مفهوم اللهجات الجغرافية ---------- 43
4-3- أثر التغير الاجتماعي في التغير اللغوي ---------- 45
4-3-1- مفهوم التغير الاجتماعي---------- 45
4 -3-2- مفهوم اللهجات الاجتماعية ---------- 46
4-3-3- أهم العوامل الاجتماعية المؤثرة في التغير اللغوي---------- 48

الفصل الثاني: علاقة التغير اللغوي بالتغير الاجتماعي في ضوء اللسانيات الاجتماعية المتغيرة 54

أولا/ نبذة عن اللسانيات الاجتماعية المتغيّرة ---------- 56

1 _ التعريف باللسانيات الاجتماعية المتغيّرة ---------- 56

2 _ منهج اللسانيات الاجتماعية التغيرية ---------- 59

ثانيا/ نماذج من دراسات لابوف الميدانية ---------- 61

1_ دراسة لابوف حول الاختلاف في نطق بعض حروف اللّين ب"مارتاس فينيارد ---------- 62

2- التنضيد الاجتماعي للصوت /r/ في المحلات الكبرى بمدينة نيويورك ---------- 67

3- اللغة الإنجليزية عند الزنوج السود ---------- 72

ثالثا/ نماذج من دراسات أخرى حول التغيّر اللغوي والمتغيّرات الاجتماعية---------- 77

1_ نموذج ترادجل وشامبرز حول التغيرات الصوتية والمتغيرات الاجتماعية ---------- 77

2_ نموذج ترادجل حول المتغيرات النحوية والمتغيرات الاجتماعية---------- 79

3_ نموذج كالفي حول التغيرات المعجمية والمتغيرات الاجتماعية ---------- 84

رابعا/ نماذج من بعض الدراسات العربية حول التغيرات اللغوية والتغيرات الاجتماعية ---------- 87

خاتمة ---------- 93

قائمة المصادر والمراجع ---------- 96

الفهرس ---------- 101

ملخص

ملخص

يتناول هذا البحث إحدى القضايا الأساسية التي عالجها اللسانيون الاجتماعيون باهتمام كبير، وأسّس اللساني الأمريكي وليام لابوف على أساسها فرعا جديدا سماه "اللسانيات الاجتماعية التغيّرية"، وهي قضية التّغير اللغوي وعلاقته بالتغيّر الاجتماعي، والغرض من دراسة العلماء لهذا الجانب هو إبراز مظاهر التغيّر اللغوي وتجلياته والكشف عن أسبابه، وتضمّن هذا البحث فصلين أساسيين؛ يتمحور الأوّل حول اللسانيات الاجتماعية وقضاياها البارزة، والمفاهيم النظرية المتعلّقة بالتغيّر اللغوي والتغيّر الاجتماعي، وتناول الفصل الثاني أهم الدراسات الميدانية التي أجراها وليام لابوف حول تغيّرات اللغة الإنجليزية في بعض المجتمعات الأمريكية، بحثا إمّا عن الأسباب الاجتماعية أو الجغرافية التي تقف وراء هذا التغيّر، وما ينجرّ عنه من التنوّع في لهجات اللغة الواحدة، متتبّعا في ذلك كلام الأفراد بانتظام، ليصل إلى أنّ اللغة التي تستخدمها جماعة لغوية معيّنة ليست متجانسة، بل متنوّعة ومتعدّدة في أصواتها ودلالاتها ومعجمها وتراكيبها، وذلك تبعا لاختلاف شرائحها الاجتماعية واختلاف مناطقها الجغرافية.

الكلمات المفتاحية: اللسانيات الاجتماعية، اللغة العربية، اللهجات، التغير اللغوي، التغيّر الاجتماعي.

Résumé

Cette recherche aborde l'une des enjeux fondamentales que les sociolinguistes ont traitées avec beaucoup d'intérêt et sur la base de laquelle le linguiste américain William Labov a fondé une nouvelle branche qu'il a appelée «sociolinguistique variationniste», à savoir la question du changement linguistique et sa relation avec le changement social. Le but des chercheurs qui étudient cet aspect est de mettre en évidence les manifestations du changement linguistique et de révéler ses causes. Cette recherche inclure deux chapitres fondamentaux : le premier se concentre sur la sociolinguistique et ses enjeux fondamentaux, ainsi que des concepts théoriques liés au changement linguistique et au changement social. Le deuxième chapitre traite des études de terrain les plus importantes menées par William Labov sur les changements de la langue anglaise dans certaines sociétés américaines, à la recherche de l'une ou de l'autre. Les raisons sociales ou géographiques de ce changement est la diversité qui en résulte dans les dialectes d'une même langue, en suivant systématiquement le discours des individus, arrivant à la conclusion que la langue utilisée par certaine Communauté linguistique n'est pas homogène, mais plutôt diversifié et multiple dans ses sonorités, ses connotations, son lexique et sa structure, en fonction des différences de ses segments sociaux et des différences de ses régions géographiques.

Mots-clés : sociolinguistique, langue arabe, dialectes, changement linguistique, changement social.